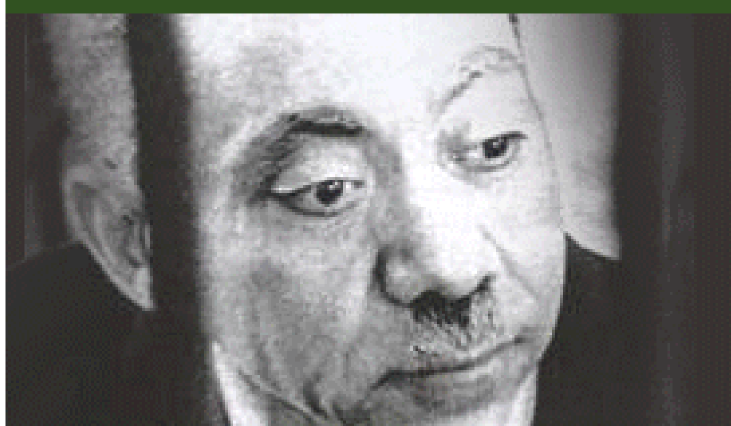
الحركةُ الإسلاميّة

"بين"

الشيخ المجاهد سيد قطب

والشيخ المجاهد أسامة بن لادن

(دراسة حالة)





لفضيلة الشيخ

أبي هاجر الليبي

- حفظه الله -

مراجعة فضيلة الشيخ

أبي أحمد عبد الرحمن المصري

- حفظه الله -

مجموعة الأنصار البريدية

Al-Ansar Mailing list Newsletter

١٤٣٠هـ // ٢٠٠٩م

الحركة الإسلامية

"بين"

الشيخ المجاهد سيـــــد قـطـب

والشيخ المجاهد أسامة بن لادن

(دراسة حالة)

لفضيلة الشيخ

أبي هاجرالليبى

- حفظه الله –

مراجعة فضيلة الشيخ

أبي أحمد عبد الرحمن المصري

- حفظه الله -

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وبعد

البحث العلمي له أصوله المتبعة المرعية في أي علم من العلوم ، سواء كان هذا العلم يتعلق بالأمور الكونية (أي الطبيعية) ، أو بالأمور التي تتعلق بالإنسان ، وقد اعتمدت هذه الدراسات علي أصل ثابت مهما اختلفت الرؤى النظرية والمناهج في دراسة الظاهرة محل البحث ، ألا وهو الاعتماد علي جانبين :-

الأول : جانب الواقع : أي دراسة الظاهرة محل البحث من خلال الواقع الذي تعيش فيه ، وأن الوصف الصحيح للظاهرة يعتبر أساسا ومرتكزا في الحكم عليها لأن (الحكم علي الشيء فرع عن تصوره) .

الثاني : والذي لا يقل أهمية عن الجانب الأول وهو الجانب النظري (أي العلمي)الذي يحكم به علي الظاهرة ، وهذا الجانب يختلف من شخص إلي آخر حسب معتقده - أي التوجه الفكري الذي يؤمن به ، والذي من خلاله يقوم بالحكم علي الظاهرة أو تفسيرها - ومن هنا تختلف وجوه تفسير الظاهرة الواحدة أو الحكم عليها نتيجة لاختلاف الرؤي والتصورات ، فالحدث الواحد يُختلف في الحكم عليه من توجه إلي آخر ، وذلك بحسب التوجه النظري الذي ينطلق منه الباحث.

والظاهرة محل البحث هي الظاهرة الإسلامية - وأمامنا مسلكان لدراستها :

١ - يمكن دراستها منذ بداية التاريخ الإسلامي إلي رسالة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، وذلك وفق الأصول المتفقة بين الرسالات التي تتمثل في التوحيد.

يقول الشيخ سيد قطب (إن البشرية تبدأ طريقها مهتدية مؤمنة موحدة .. ثم تنحرف إلي جاهلية ضالة مشركة - بفعل العوامل المتشابكة المعقدة في تركيب الإنسان ذاته ، وفي العوالم والعناصر التي يتعامل معها .. وهنا يأتيها رسول بذات الحقيقة التي كانت عليها قبل أن تضل وتشرك. فيهلك من يهلك ، ويحيا من يحيا. والذين يحيون هم الذين آبوا إلي الحقيقة الإيمانية الواحدة. هم الذين علموا أن لهم إلها واحدا ، واستسلموا بكليتهم إلي هذا الإله الواحد. هم الذين سمعوا قول رسولهم لهم : « يا قوم اعبدوا اللّه ما لكم من إله غيره » .. فهي حقيقة واحدة يقوم عليها دين اللّه كله ، ويتعاقب بها الرسل جميعا علي مدار التاريخ .. فكل رسول يجيء إنما يقول هذه الكلمة لقومه الذين اجتالهم الشيطان عنها ، فنسوها وضلوا عنها ، وأشركوا مع اللّه آلهة أخري - علي اختلاف هذه الآلهة في الجاهليات المختلفة - وعلي أساسها تدور المعركة بين الحق والباطل .. وعلي أساسها يأخذ اللّه المكذبين بها وينجي المؤمنين.

.. والسياق القرآني يوحد الألفاظ التي عبر بها جميع الرسل - صلوات اللّه عليهم - مع اختلاف لغاتهم .. يوحد حكاية ما قالوه ، ويوحد ترجمته في نص واحد : ﴿ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ ﴾ .. وذلك لتحقيق معني وحدة العقيدة السماوية - علي مدار التاريخ - حتي في صورتها اللفظية! لأن هذه العبارة دقيقة في التعبير عن حقيقة العقيدة ، ولأن عرضها في السياق بذاتها يصور وحدة العقيدة تصويرا حسيا .. ولهذا كله دلالته في تقرير المنهج القرآني عن تاريخ العقيدة ..

إن كل رسول من الرسل - صلوات اللّه عليهم جميعا - قد جاء إلي قومه ، بعد انحرافهم عن التوحيد الذي تركهم عليه رسولهم الذي سبقه .. فبنو آدم الأوائل نشأوا موحدين لرب العالمين - كما كانت عقيدة آدم وزوجه - ثم انحرفوا بفعل العوامل التي أسلفنا - حتي إذا جاء نوح - عليه السلام - دعاهم إلي توحيد رب العالمين مرة أخري. ثم جاء الطوفان فهلك المكذبون ونجا المؤمنون. وعمرت الأرض بهؤلاء الموحدين لرب العالمين - كما علمهم نوح - وبذراريهم. حتي إذا طال عليهم الأمد انحرفوا إلي الجاهلية كما انحرف من كان قبلهم .. حتي إذا جاء هود أهلك المكذبون بالريح العقيم .. ثم تكررت القصة .. وهكذا ..[1]

ولقد أرسل كل رسول من هؤلاء إلي قومه. فقال : ﴿ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ﴾ .. وقال كل رسول لقومه : ﴿إني لكم ناصح أمين﴾ ، معبرا عن ثقل التبعة وخطورة ما يعلمه من عاقبة ما هم فيه من الجاهلية في الدنيا والآخرة ورغبته في هداية قومه ، وهو منهم وهم منه .. وفي كل مرة وقف «الملأ» من عليه القوم وكبرائهم في وجه كلمة الحق هذه ورفضوا الاستسلام للّه رب العالمين. وأبوا أن تكون العبودية والدينونة للّه وحده - وهي القضية التي قامت عليها الرسالات كلها وقام عليها دين اللّه كله - وهنا يصدع كل رسول بالحق في وجه الطاغوت .. ثم ينقسم قومه إلي أمتين منفصلتين علي أساس العقيدة. وتنبتّ وشيجة القومية ووشيجة القرابة العائلية لتقوم وشيجة العقيدة وحدها. وإذا «القوم» الواحد ، أمتان منفصلتان لا قربي بينهما ولا علاقة! .. وعندئذ يجيء الفتح .. ويفصل اللّه بين الأمة المهتدية والأمة الضالة ، ويأخذ المكذبين المستكبرين ، وينجي الطائعين المستسلمين .. وما جرت سنة اللّه قط بفتح ولا فصل قبل أن ينقسم القوم الواحد إلي أمتين علي أساس العقيدة ، وقبل أن يجهر أصحاب العقيدة بعبوديتهم للّه وحده. وقبل أن يثبتوا في وجه الطاغوت بإيمانهم. وقبل أن يعلنوا مفاصلتهم لقومهم .. وهذا ما يشهد به تاريخ دعوة اللّه علي مدار التاريخ.[2]

٢- يمكن دراستها منذ رسالة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم إلي سقوط الخلافة ، فالإسلام المحض هو ما كان عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم وصحابته الكرام وهو ما كان عليه أهل السنة والجماعة من الالتزام بالسنة والاجتماع عليها ، وكان النظام السياسي في الإسلام يقوم علي أساس اختيار الأمة لحكامها وذلك عن طريق أهل الحل والعقد ، والذي تتحقق مشاركة الأمة من خلالهم .

وقد سلكنا هذا المسلك من خلال العناصر الآتية:

أولاً: الظاهرة الإسلامية والخصائص اللازمة لاستقرار مجتمعاتها منذ عصر النبوة وحتى سقوط الخلافة العثمانية .

ثانياً: كيف انحرفت الأمة عن هويتها وفقدت تماسكها الاجتماعي؟

ثالثاً :أ- مهمة العلماء (الطائفة المنصورة) :

ب- موقف العلماء .

رابعاً: أثر التوجهات النظرية المختلفة علي المجتمع الإسلامي بعد سقوط الخلافة .

خامساً: الظاهرة الإسلامية بعد سقوط الخلافة .

سادساً: بعض النقولات والفتاوى المتعلقة بالعمليات الجهادية قديما وحديثا .

أولا:الظاهرة الإسلامية والخصائص اللازمة لاستقرار مجتمعاتها منذ عصر النبوة وحتى سقوط الخلافة العثمانية:

[1] / في ظلال القرآن (١/٠٤/٢٦٤)

[2] / المصدر السابق - تفسير سورة الأعراف من الآية ٥٩

إن أهم ما يميز الأمة مجموعة من الخصائص والمقومات التي يجب توافرها لوجود المجتمع المسلم واستقراره وهي :

١ــ مفهوم واضح وصحيح تجتمع عليه الأمة.

٢ــ صفوة تكون هي العماد الذي تقوم عليه الأمة.

٣ ــ مشاركة الأمة.

٤ــ القيادة.

٥ ــ التمكين لتكون كلمة الله هي العليا.

فلابد إذاً لكي نعود من جديد لابد من تصحيح للمفاهيم المعتمدة على التأصيل الشرعي الصحيح ، ولابد من وجود صفوة راشدة كصفوة ابن الأرقم ، كالكتيبة الخضراء التي دخل بها رسول الله مكة ، والصفوة هي التي صمدت أمام ردة من ارتد من العرب ، وهي التي صمدت أمام المبتدعة والمتكلمين ، وهي التي وقفت أمام التتار والصليبيين وهي التي بدأت الدعوة من جديد .

ولابد من دور الأمة لقوله تعالي: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران ١١٠]- وقوله تعالي: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران ١٠٤] ــ ودور الأمة دور ضروري في مساندة الصفوة.

- وعنصر القيادة ضروري لكي تجتمع حولها الأمة وتكون قيادة بالبيعة الحرة والأصول الصحيحة والشورى (خلافة راشدة علي منهاج النبوة).

- وعنصر التمكين هو عنصر ضروري لكي تتحقق هذه العناصر كلها ، ولكي تكون كلمة الله هي العليا ، ولكي تنطلق منها الدعوة إلي الله ويتم تعبيد الأرض لله ،ويتحقق وعد الله للموحدين﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور ٥٥- وقال تعالي:﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ الحج٤١

يقول الشيخ عبد المجيد الشاذلي حفظه الله :- ويتحقق تماسك أي أمة من الأمم بثلاثة عوامل:

أولهـــا: وجود الهوية الجماعية التي تحقق الانجذاب والاستقطاب حولها.

ثانيهـــا: تحقيق المشاركة بين الأمة ورجال السلطة في الحكم.

ثالثها: استقرار القيم[٣] التي يقوم عليها المجتمع وتتماسك بها شخصية الفرد وينضبط بها سلوكه ، يقول تعـــالي: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾١٠٣آل عمران- وحبل الله هو القرآن، وهـــو الجماعـــة، والمعـــني متآلف. والمطلوب هو التزام الكتاب والسنة والاجتماع عليهما والقتال دونهما.

[٣] / الإفلاس في عالم القيم وانحلالها وتصادمها مع الفطرة يؤدي في النهاية إلي تلف الخامة البشرية، ومن ثم سقوط الحضارة، وقد تؤخر الهوية الجماعية القوية المتميزة هذا السقوط بعض الشئ لما تحققه من تماسك اجتماعي، ولكن فساد الخامة البشرية يحتم هذا السقوط في النهاية. وهذا ما يفسر التماسك الأوروبي مع وجود ظواهر الانهيار وإرهاصات زوال قيادة الغرب للبشرية.

روي مسلم في صحيحه عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:« لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتي يأتي أمر الله وهم ظاهرون علي الناس » [٤] - وله أيضًا عن عقبة بن عامر مرفوعًا: « لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون علي أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتي تأتيهم الساعة وهم علي ذلك »[٥]

ذلك أن شرعية الكيانات في الإسلام لا تتحقق إلا من خلال الجماعة ،التي هي التزام الكتاب والسنة والاجتماع عليهما، والالتزام الفردي دون الاجتماع عليهما ككيان ، لا يحقق لمجموع الأفراد الذين يفتقدون هذا الاجتماع معني الجماعة، ولا صفة الشرعية ولا الهوية ، والاجتماع علي غير الكتاب والسنة ، لا يحقق للداخلين فيه معني الجماعة ، ولا صفة الشرعية ، ولا صفة الهوية الإسلامية.

فالإسلام يحقق التماسك الاجتماعي من خلال تحقيق العوامل الثلاث السابق ذكرها وذلك علي النحو التالي:

أ- الهوية الجماعية: وتتمثل في الرابطة أو حبل الله كما أمر الله تعالي : ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ سورة آل عمران: ١٠٣.

ب- المشاركة: من خلال الشوري الملزمة ضمن عمل أهل الحل والعقد وعمل أهل النظر والاجتهاد[٦].

ج- استقرار القيم: من خلال القيم الإسلامية: ﴿ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾الأنعام، الآية: ١٦١

لقد حقق الإسلام منذ عصوره الأولي ــ بهذه العوامل الثلاث ــ تماسك الأمة وتماسك الفرد فأخرج خير أمة أخرجت للناس فكانت كما يحب الله عز وجل بنيانًا متماسكًا:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ الصف الآية:٤

كما كانت هذه الأمة كتلة واحدة بل جسدًا واحدًا أخبر عنهم : « تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمي »، فكانوا بحق أمة واحدة تصديقًا لخاتم المرسلين: «... إنهم أمة واحدة من دون الناس »، « تتكافأ دماؤهم ويسعي بذمتهم أدناهم وهم يد علي من سواهم ».

وهكذا أصبحت الأمة الإسلامية متمايزة عن غيرها في كل شئ :

١- رايتها :

لقد أعلنها صلى الله عليه وسلم راية ربانية تقوم علي تعبيد الناس لربهم منذ اليوم الأول لدعوته.. وإن كان استرداد الأرض من مغتصبيها والعدالة الاجتماعية وغيرها من أنواع العدل، والإصلاح الأخلاقي وغيره من الإصلاحات هو من مقاصد هذا الدين...﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلي اللّهِ عَلَي بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف، الآية: ١٠٨.

٢- تجرد هويتها :

٤/ مسلم جـ ٢، ص ١٦٢.

٥/ مسلم جـ ٢، ص ١٦٣.

٦/ ما يطرح للشوري في عمل أهل النظر والاجتهاد ما ليس فيه نص ولا إجماع وشوراهم ملزمة بأغلبية الآراء، وعمل أهل الحل والعقد النظر في مصالح المسلمين، ودليل الإلزام النصوص القرآنية وحديث: حتي أستأمر السعود ــ ولعله يعني سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وغيرهما من الأنصار ممن يسمي سعدًا كما ذكروا في هامش ص ٣٧ ــ والوقائع التاريخية من سيرة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين المهديين من بعده.

فبعد أن حدد رسول الله لهذه الأمة هويتها الإسلامية التي يجتمع حولها المسلمون وهي لا اله إلا الله ، أي عبادة الله وحدة لا شريك له ، وقرر أنهم أمة واحدة من دون الناس جرّد هذه الهوية من الالتباسات الـتي يمكـن أن تحدث من تبني القضايا الرائجة عند الناس وقت الدعوة، التي يشاركه فيها غيره من غير أهل دعوته من دعـاة الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي والتحرر السياسي ، أو غيرها من القضايا التي ربما لا تكـون رائجـة وقـت الدعوة ولكن من شأنها ـــ إذا طرحت حسب الظروف السياسية والاجتماعية السائدة في وقت الـدعوة ـــ أن تجد مساندة من قوي كثيرة يهمها تحقيق هذا البرنامج الإصلاحي أو ذاك ، وإن كانت مخالفة في الهوية والعقيدة وسائر التوجيهات لصاحب الدعوة ، وكذلك يكون من شأنها أن تجد قبولاً سريعاً لدي الناس لحاجتهم الماسـة إليها لفرط معانتهم من التفسخ الأخلاقي والفوارق الطبقية والظلم الاجتماعي ، أو احتلال جزء من أراضـيهم من قبل آخرين من غير جلدتهم وفرض التبعية عليهم.

وبتجريد الهوية من كل هذه الالتباسات ـــ التي يصعب علي صاحب الدعوة تجنبها ما لم يكن مستنًا بالهـدي ـــ امتنع أن يصير الإسلام بعد ذلك ـــ مقوما من مقومات هويات أخري عربية أو فارسية أو تركية، اجتماعيـة أو سياسية، وامتنع أن يتعدد الإسلام بتعدد الالتباسات (من إسلام صحراوي وآخر ريفي وثالث صـناعي أو إسلام اجتماعي وآخر فردي أو إسلام اشتراكي وآخر ليبرالي أو إسلام تركي وآخر مصري وثالث عـربي... ورابع بربري... وآسيوي أو أوربي وشمالي أو جنوبي) بتعدد الشرعيات والحضارات المقبولة في الدين !!!

وامتنع أن يصير الإسلام فصيلاً من فصائل الإصلاح الأخلاقي أو الاجتماعي أو السياسي في الأمة العربيـة أو غيرها من الأمم ، وتحققت للإسلام هويته الواحدة المستقلة عن غيرها، وأصبح للإسلام بذلك أمتـه الواحـدة المتميزة عن غيرها من الأمم، فأبطل رسول الله بذلك شرعية التعدد في الهويات بامتزاج الهوية الإسلامية بغيرها من خارجها وأصبح للإسلام هوية واحدة متميزة هي: « الاجتماع علي الإسلام والانتـساب إلي الـشرع »[٧] وهي شرعية واحدة لا تتعدد تقوم عليها أمة واحدة لا تتعدد ولا تتفرق بدعاوى الجاهلية.

٣ - صفاء عقيدتها :

لقد أقام صلى الله عليه وسلم الهويـة علي التوحيـد الخالـص من إفـراد الله سبحانـه وتعـالي بالنـسك والحكم والولاء ـــ بعد إفراده تبارك وتعالي بالربوبية

بقول الله جل وعلا:﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾الأنعام، الآية:١٦٢

وقوله تعالي:﴿أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً﴾ الأنعام، الآية: ١١٤

وقوله عز وجل:﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً﴾ سورة الأنعام، الآية:١٤

وقوله جل وعلا:﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً﴾ سورة الأنعام، الآية: ١٦٤

وبذلك أسقط شرعية أي وضع يقوم علي التمرد علي سلطان الله ـــ عز وجل ـــ بإشراك غيره معه في الـولاء أو الحكم أو النسك أو الربوبية، وبذلك لا يكون لأي وضع علماني أو قومي ـــ يقوم علي أساس الاجتمـاع علي غير الإسلام والانتساب إلي غير الشرع - شرعية إسلامية يستند إليها بدعوي أن القائمين عليه مسلمون!

[٧] / راجع كتاب الاعتصام للشاطبي.

٤ - وضوح سبيلها :

كما أنه صلى الله عليه وسلم أسقط شرعية الافتراق الديني والدنيوي بقوله : «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا ومن هي يا رسول الله ؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي». وفي رواية: «الجماعة»[٨]وبذلك أبطل تعدد الهويات من داخل الدين كما أبطلها من خارجه.

٥ - مشاركة في إدارة شئونها وحكمها :

وذلك من خلال الأطر المختلفة كمشاركة السعود[٩] الخمسة بوصفهم ممثلين عن أحياء الأنصار، وأبو بكر وعمر بوصفهما ممثلين عن المهاجرين ومشاركة غيرهم من ممثلي القبائل.

روي البزار والطبراني عن أبي هريرة: أتي الحارث النبي فقال: يا محمد ناصفنا تمر المدينة وإلا ملأناها عليك خيلاً ورجالاً قال: « لا حتى أستأمر السعود »[١٠]،فكلهم قالوا: والله ما أعطينا الدنية في أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الإسلام، فأخبر الحارث فقال: غدرت يا محمد.

واستشارهم في (أُحُد) بعد أن أخبرهم برؤيا التي تُنبئ بأن المدينة درع حصين ويعرض لهم رأيه أنهم لا يخرجون من المدينة وأن يتحصنوا بها، فإن أقام المشركون بمقامهم أقاموا بشر مقام وبغير جدوى، وإن دخلوا المدينة قاتلهم المسلمون علي أفواه الأزقة والنساء من فوق البيوت ــ وكان هذا هو الرأي ــ ولكن أشار عليه الكثير من المسلمين بخلاف ذلك فاستجاب لرأيهم.[١١]

كما استشارهم في بدر فأشاروا عليه بمجالدة المشركين وقالوا كلمتهم المشهورة: « والله لئن استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك »[١٢].وتعلم أصحابه ــ رضوان الله عليهم ــ منه هذا الأمر.

وقد تعلم الصحابة رضى الله عنهم الدرس فها هو التاريخ يروى لنا ما فعلوه في غزوة مؤتة حين واجهوا ــ وهم ثلاثة آلاف مقاتل ــ جيشًا قوامه مائتا ألف فجعلوا يتشاورون حتي شجعهم عبد الله بن رواحة ــ رضي الله عنه ــ بقوله: انطلقوا فإنما هي إحدي الحسنين: إما ظهور وإما شهادة، فاستقر الرأي إلي ما دعا إليه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه[١٣]

---

٨ / سبق تخريج الحديث والافتراق المقصود في الحديث ليس هو الافتراق في المسائل الاجتهادية فهذا واقع حتي في القرون المفضلة، الثلاثة الأولي. ولكن الافتراق الذي قال الله تعالي عنه:) وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ([الروم: ٣٠-٣١]. الافتراق الذي صاروا به شيعاً أي جماعات بعضهم قد فارق البعض ليسوا علي تآلف ولا تعاضد ولا تناصر بل علي ضد ذلك.وهذه الفرقة مشعرة بتفرق القلوب المشعر بالعداوة والبغضاء ولذلك قال تعالي:)وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ([آل عمران: ١٠٣] فبين أن التآلف إنما يحصل عند الائتلاف علي التعلق بمعني واحد، وأما إذا تعلقت كل شيعة بحبل غير ما تعلقت به الأخري فلابد من التفرق وهو معني قوله تعالي:) وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ([الأنعام: ١٥٣]. والافتراق إما أن يكون راجعاً إلي أمر هو معصية غير بدعة ومثاله أن يقع بين أهل الإسلام افتراق بسبب دنيوي كما يختلف مثلاً أهل قرية مع قرية أخري بسبب تعد في مال أو دم حتي يقع بينهم العداوة فيصيروا حزبين أو يختلفون في تقديم وال أو غير ذلك فيفترقون، ومثل هذا محتمل، وإما أن يرجع إلي أمر هو بدعة كما افترق خوارج من الأمة ببدعهم التي بنوا عليها الفرقة. كتاب: "الاعتصام" جـ ٢، ص ١٩١ - ١٩٢.

٩ / الفرق بين النقباء والسعود أن النقباء يمثلونه ﷺ عند الأمة والسعود يمثلون الأمة عنده.

١٠ / سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، وسعد بن خيثمة، وسعد بن الربيع، وسعد بن مسعود.

١١ / صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم ص٢٤١.

١٢ / المصدر السابق، ص١٩٩.

١٣ / المصدر السابق، ص ٣٧٥-٣٧٦.

فقد كان صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم كما أخبر الله تعالي عنـــهم: ﴿ وَأَمــرُهُمْ شُـــورَي بَيْنَهُمْ﴾ .[14]

٦- أطر متعددة ومجتمعة على الولاء للإسلام : وبذلك حقق رسول الله مشاركة الأمة له من خلال ممثليهـا عن أطرها المختلفة التي أبقي عليها رسول الله ــ وسواء كانت أطر ولاءات خاصة أو أطـر عمـل إسـلامي ولكن داخل ولاء الإسلام العام وعقيدته الواحدة وشريعته الواحدة وهويته الواحدة سواء كانت الأطر عرقيـة أووظائف شرعية أو مصالح مشتركة. فالمهاجرين والأنصار مثال لأطر الوظائف الشرعية، وغفار وأسلم وجهينة أمثلة لأطر قبليات عرقية ورحم.

وتروي لنا السيرة قبيل فتح مكة كيف كان تشكيل جيش المسلمين الفاتح يقول العباس في حديثة عـن فـتح مكة وإسلام أبي سفيان: فلما ذهب لينصرف (أي أبو سفيان) قال رسول الله: « يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل ــ حتي تمر به جنود الله فيراها »، قال: فخرجت حتي حبسته بمضيق الـوادي حيـث أمـرني رسول الله أن أحبسه، قال: ومرت القبائل علي راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هذه ؟ فأقول: سليم فيقول ما لي ولسليم؟ ثم تمر القبيلة فيقول: يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول: مزينة، فيقول: ما لي ومزينـة ؟ حـتي نفذت القبائل، ما تمر به قبيلة إلا يسألني عنها، فإذا أخبرته بهم قال ما لي ولبني فلان، حتي مـر رسـول الله في كتيبته الخضراء.

قال ابن إسحاق: فيها المهاجرون والأنصار ــ رضي الله عنهم ــ ولا يري منهم إلا الحدق من الحديد، فقـال: سبحان الله يا عباس من هؤلاء !! قلت: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبـل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً !!، قال قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة، قـال فنعم إذن .[15]

وفي الصحيح أن رسول الله قال لهم: « من سيدكم يا بني سلمة ؟ » قالوا: الجد بن القيس علي أنـا نبخلـه. فقال رسول الله: « وأي داء أدوأ من البخل، ولكن الفتي الأبيض الجعد بشر بن البراء بن معرور »

وفيه أيضاً عن أبي سعيد الخدري: أن أهل قريظة نزلوا علي حكم سعد فأرسل النبي إليه فجاء فقال: « قومـوا إلي سيدكم » أو قال: « خيركم »، فقعد عند النبي فقال: « هؤلاء نزلوا علي حكمك ». قال: فإني أحكم بأن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم فقال:«حكمت بما حكم به الملك».

وفي رواية أحمد عن عائشة رضي الله عنها: « قوموا إلي سيدكم »، فأنزلوه، فقال عمر: سيدنا الله عـز وجـل، قال: « أنزلوه »، فأنزلوه .[16]

وأما نموذج أطر المصالح المشتركة - فقد روي ابن عباس رضي الله عنهما أن أسماء بنت يزيـد الأنـصارية ــ رضي الله عنها ــ أتت إلي النبي وهو بين أصحابه فقالت: يا رسول الله إني وافدة النساء إليك، إن الله بعثـك بالحق للرجال والنساء، فآمنا بك واتبعناك، وإنا ــ معشر النساء ــ محصورات، قواعـد بيـوتكم، مقتـضي

[14] / سورة الشوري، الآية: ٣٨.
[15] / زاد المعاد في هدي خير العباد، جـ٢، ص ١٨٢، ومختصر سيرة ابن هشام.
[16] / انظر: الفتح جـ٧ ص٤٧٦، وذكر الحافظ أنه حسن جـ ٢ ص٥٣.

شهواتكم، وحاملات أولادكم، وأنتم ــ معشر الرجال ــ فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهادة الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وإن الرجل إذا خرج حاجًا أو معتمرًا أو مرابطًا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفما نشاركهم في هذا الخير والأجر يا رسول الله ؟ فالتفت النبي بوجهه كله إلي أصحابه ثم قال: « هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها؟» فقالوا يا رسول الله، ما ظننا امرأة تهتدي إلي مثل هذا. فالتفت النبي إليها ثم قال: « انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن طاعة الزوج ــ اعترافًا بحقه ــ يعدل ذلك كله، وقليل منكن من يفعله ».

وبالإبقاء علي التعدد عمق المشاركة وبتعميق المشاركة يتعمق الانتماء ولا توجد أي درجة من الاغتراب ، ولابد في كل هذا أن يتقدم الولاء العام للإسلام والمسلمين عامة علي الولاء الخاص للإطار الذي ينتمي إليه المسلم أو يُقْطع هذا الولاء الخاص ولا يتقدم إذا تعارض مع الولاء العام ولم يكن خادمًا له.

٧- أمة صنعتها هويتها المستقرة في الوجدان :

وهكذا أخرج رسول الله من خلال هذه المرتكزات خير أمة أخرجت للناس استطاعت أن تصمد في وجه المرتدين عقب وفاة رسول الله ، بل وتمكنت بعد ذلك من هزيمة البيزنطيين في فلسطين ، والانتصار علي الفرس في القادسية وفتح مصر علي يد عمرو بن العاص ، والقضاء علي الدولة الساسانية ،وفتح أرمينيا وجورجيا والانتصار علي الأسطول البيزنطي في معركة ذات الصواري، كل هذه الملاحم التي توشح صدر الإسلام في فجره، وقعت فيما بين التحاق النبي الكريم بالرفيق الأعلى وحتى مقتل عثمان وتولي علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .[١٧]

في كل هذا كان الإسلام هو هوية هذه الأمة ، ومحور استقطابها الذي صنعها أمة عظمي من قبائل متفرقة متناحرة ، ونري أثر ذلك عندما كان الإسلام هوية الأمة، فقد كان الفرد المسلم من عامة الأمة لا يري في غير الإسلام سبباً للتجمع ، بل يري أنه وحده أساس الانتماء ، وأنه وحده رابطة الولاء، ولذلك لم تكن لديه قابلية للشعور بالغضاضة في أن يعيش علي أرضه ــ بل ويحكمه ــ مسلم من بلد آخر فصفة الإسلام تَجُبُّ ما عداها ، ورابطة الدين تُغني عما سواها.

ويقص علينا التاريخ أن المسلم كان يخرج من طنجة حتى ينتهي به المطاف إلي بغداد لا يحمل معه جنسية قومية أو هوية وطنية ، وإنما يحمل شعاراً إسلامياً هو كلمة التوحيد ، فكلما حل أرضاً وجد له فيها أخوة في الإيمان ، وإن كانت الألسنة مختلفة والألوان متباينة ، لأن الإسلام أذاب كل تلك الفوارق واعتبرها من شعارات الجاهلية.

كما يَحكي لنا كيف سار ابن بطوطة من شاطئ المحيط الأطلسي إلي شاطئ المحيط الهادي ، ولم يُعتبر في أي قطر مر به أجنبيًا ، بل وأتيحت له الفرصة ، أن يصبح قاضيًا أو وزيرًا ، أو سفيرًا أو ولم يُراقب في حركاته وسكناته ، ولم يسأله أحد عن هويته أو جنسيته أو مهنته أو وطنه ، فقد كان أفراد الأمة في تحركهم من بلد إلي بلد آخر

١٧ / الدكتور أحمد القديري: «الإسلام وصراع الحضارات» كتاب الأمة رقم (٤٤)، ص ٦٤

من بلاد الإسلام ، لا يحتاجون إلي تأشيرات دخول أو خروج لأن الإسلام بلْوَر هويتهم الحقيقة ، ومنحهم الجنسية الإيمانية ، وزودهم بروح الأخوة والمودة.[18]

وحتى عهد قريب كانت الأمة تقاوم الغزو الغربي الصليبي مقاومة إسلامية ، وتنظر إليه علي أنه غزو من قبل الكفار لبلاد الإسلام ، ينبغي مجاهدته وإزالته، وكانت تقاوم أيضاً - ما وسعتها المقاومة - عملية تنحية الشريعة الإسلامية وإحلال القوانين الوضعية محلها علي أساس أن هذا كفر يخرج من الملة إذا رضيت به.

إن المصريين حين قاتلوا الحملة الفرنسية لم يقاتلوها بوصفهم مصريين إزاء فرنسيين ، ولكن بوصفهم مسلمين يقاتلون الكفار، وقد كان علماء الدين هم قادة هذه المقاومة، ولذا انصب غضب نابليون علي الأزهر بوصفه عنصر المقاومة للغزو الصليبي.

وتأتي قمة الدلالة في كون سليمان الحلبي الذي قتل كليبر لم يكن مصريًا ، بل مسلمًا دفعه إسلامه إلي قتل قائد الحملة الصليبية الموجهة إلي أرض الإسلام.

وقد أدرك أعداء هذه الأمة قوة هويتها ، مما جعلهم يتزلفون إليها بادعاء الإسلام أو المحبة لأهله كما فعل نابليون عند دخوله مصر.

ثانيا : كيف انحرفت الأمة عن هويتها وفقدت تماسكها الاجتماعي؟

يرجع انحراف الأمة إلي سببين:[19]

أ - خلل في التوجيه العلمي الشرعي من أهل الجدل واللسان أدي إلي ضعف قوة الالتزام ، والافتراق الديني عند المسلمين.

ب- خلل في التوجيه السياسي عند أهل الأيدي والقتال أدي إلي ضعف قوة الاجتماع والافتراق الدنيوي عند المسلمين.

وهل أفسد الدين إلا الملوك * * *وأحبار سوء ورهبانها

ومن يقرأ جيدًا تاريخ الإسلام يدرك أن الخلل في أنظمة الحكم أفسد القوة الاجتماعية للمسلمين ، والخلل في المفاهيم والتوجيهات الإسلامية أفسد القوة الالتزامية للمسلمين، وإذا فسدت قوة الاجتماع وقوة الالتزام بالافتراق الدنيوي والافتراق الديني هوي كيان الأمة ، ودخلت في أطوار الانحلال والانحدار والتفكك ولا أمل في إصلاح حال المسلمين ، إلا بالخروج من شرعيات الضرورة ، التي استمرت عشرة قرون في سياسات الملك وأوضاع السلطة وأنظمة الحكم ، إلي شرعية الاستقرار ، وهذا ضروري لإصلاح وضع الأمراء أهل الأيدي والقتال ، والعودة إلي المفاهيم والتوجهات الصحيحة في حركة العلماء، ومن يدرك هذا يفهم ما جاء في تحذير الرسول أمته من بني قنطوراء، وبنو قنطوراء هم الترك الذين صار إليهم أمر الشوكة في الإسلام من القرن الثالث الهجري حتى سقوط الخلافة الإسلامية[20]

---

[18] / محمد محمد البدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلي الريادة ص ٥٢-٥٣.

[19] / يراجع كتاب ضوابط حقيقة المحبة والولاء أبو أحمد عبد الرحمن بن محمود

[20] / عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ﷺ قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ. فسمعنا النبي ﷺ يقول: « إن أمتي يسوقها قوم عراض الأوجه صغار الأعين كأن وجوههم الحجف (*) ثلاث مرات حتي يلحقوهم بجزيرة العرب، أما السابقة الأولي: فينجو من هرب منهم، وأما الثانية فيهلك بعض وينجو بعض، وأما الثالثة فيصطلمون (**) كلهم من بقي منهم، قالوا: يا نبي الله من هم؟ قال: « هم الترك »، قال: « أما والذي نفسي بيده ليربطن خيولهم إلي سواري

جاء في أطلس تاريخ الإسلام عن ملوك الترك والأعاجم[٢١] :« قد مررنا في دراستنا بدول عظيمة بدأت بدايات جليلة كالسامانيين والغزنويين والأيوبيين والأتراك العثمانيين ، ولكنها كلها كانت ثقيلة اليـد علـي النـاس ، شديدة الطمع في أموالهم ، قليلة الاهتمام بدمائهم ، لهذا توقف معظمها بعـد مـسير قليـل ، وتحولـت إلي استبداديات صغيرة يتحارب أفرادها علي الملك ،لأنه كان الوسيلة الكبرى لكسب المال ».

وهكذا كان ملوك الأعاجم والترك الذين حموا الإسلام من الخارج هم الذين استنفدوا قوة مجتمعاته من الداخل إلي أن نفدت كل قدرة علي العطاء ووقفت هذه المجتمعات جامدة ، أو تدهورت في بنائها الداخلي من حيـث نظم الحكم والإدارة والاجتماع والاقتصاد والعمران فكان هذا هو الخلل عند أهل الأيدي والقتال.

ويصف ابن تيمية جانبًا من الخلل عند أهل الألسنة والجدال الذي أضعف قدرة الأمة علي المواجهة عند تعرضها للغزو العلماني في زماننا هذا فيقول رحمه الله [٢٢]:« وقد لُبسَ علي طوائف من الناس أصل الإسلام حتي صـاروا يدخلون في أمور عظيمة هي شرك ينافي الإسلام لا يحسبونها شركاً وأدخلوا في التوحيد والإسلام أمورًا باطلـة ظنوها من التوحيد وهي تنافيه ، وأخرجوا من الإسلام والتوحيد أمورًا عظيمة لم يظنوها مـن التوحيـد وهـي أصله، فأكثر هؤلاء المتكلمين لا يجعلون التوحيد إلا ما يتعلق بالقول والرأي واعتقاد ذلك دون ما يتعلق بالعمل والإرادة واعتقاد ذلك ». أ هـ

وهذا ما آلت إليه المفاهيم في العصور المتأخرة فكثير من الأشعرية والماتريدية صرحوا بنفي أن يكـون النطـق بشهادة أن لا إله إلا الله داخلاً في الإيمان...!!

يقول أبو منصور البغدادي أحد أئمة الأشاعرة : (وأما الإقرار وهو قول كلمة الشهادة ، والعمل الـذي هـو فعل المأمورات وترك المنهيات فليسا من الإيمان ، ولا يكون تاركهما كافرا ، فإن كان تاركاً للإقرار كان مؤمنا عند الله فحسب ، وإن كان تاركا للعمل كان مؤمناً عند الله وفي أحكام الدنيا أيضاً).
ويقول الدسوقي شارحاً لكلام السنوسي أحد أئمة الأشاعرة المتأخرين ـــ بعد ذكر حكم التلفظ بالـشهادة ، وهل هي داخلة في الإيمان ؟ والأقوال في ذلك حيث رجح أن النطق بالشهادتين ليس شرطاً في صحة الإيمـان ، ولا جزءاً من مفهومه ، وإنما هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية ، وهو المعتمد في مذهب الأشعري كما يقول : (وعليه فمن صدق بقلبه ولم ينطق بالشهادتين ، سواء كان قادرا علي النطق أو عاجزا عنه فهو مؤمن عند الله يدخل الجنة وإن كانت لا تجري عليه الأحكام الدنيوية من غسل وصلاة عليه ودفن في مقابرالمسلمين ولا ترثـه ورثته المسلمون) فتركه لجانب العمل لا يؤثر علي إيمانه بشيء ، أما تركه للإقرار أي النطق بالشهادتين فهـو في

مساجد المسلمين »، قال: وكان بريدة لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسقية بعد ذلك للهرب مما سمع من النبي ﷺ من البلاء من أمراء التـرك ((***) مسند أحمد ٣٤٨/٥، ٣٤٩. (*) الحجف: الحجفة: الترس. (**) يصطلمون: الاصطلام: الصلم: القطع، أي يحصدون.
ـــ عن ابن مسعود مرفوعًا: اتركوا الترك ما تركوكم، وقال: « أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء ».ـــ ينظر في ذلك: قتال الترك وقتال العجم، صفحات ٩٣ - ٩٩، كتاب أشراط الساعة، يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، دار طيبة، مكتبة ابن الجوزي ١٤٠٩ هــ، ١٩٨٩ م.
[٢١] / د. حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام.
[٢٢] / الفتاوي الكبري جــ ٥، ص ٢١٢ - ٢١٣، طبعة دار القلم ـــ بيروت.

الظاهر ، أي في الأحكام الدنيوية كافر ، ولكنه في الحقيقة مؤمن فمجرد تصديق القلب هو الإيمان وما عـاداه ليس بإيمان.

ومن هنا فنحن أمام وضع تاريخي للأمة أخبر عنه رسول الله صلي الله عليه وسلم جاء في صحيح البخاري باب (كيف الأمر إذا لم تكن جماعة) حدثنا محمد بن المثني حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر (في مسلم عبد الرحمن بن يزيد بن جابر) حدثني يسر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير[23] فهل بعد هذا الخير من شر ؟ [24] قال[25]: نعم قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال: نعم وفيه دخن ، قلت: وما دخنه ؟ قال: قوم[26] يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر[27] قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال: نعم دعاة علي أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، قلت يا رسول الله صفهم لنا ، قال: هم من جلدتنا[28] ويتكلمون بألسنتنا قلت: فما تأمرني إن ادركني ذلك ؟ قال: تلزم جماعة المسلمين[29] وأمامهم[30] قلت [31]: فان لم يكن لهم جماعة ولا أمام ؟ قال: فاعتزل[32] تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتي يدركك الموت وأنت علي ذلك"

ونحن هنا أمام خط نزول للأمة فهي تنتقل من سيء إلي أسوأ ، وان تخللت تلك الأوضاع فترات مزدهرة إلا أن الوضع العام والأمر الواقع فقد كان وضع الأمة في سفول لا صعود انتهي بها إلي سقوط الخلافة الإسلامية من الأرض.

ثالثا : (أ) مهمة العلماء (الطائفة المنصورة) :

هو القيام بالمنهج الإسلامي والذي يعتمد علي ركيزتين أساسيتين وهما :

أ- البيان العلمي للإسلام .

ب- وإعداد القوة المادية .

وذلك لحماية الدعوة وتحقيق الإسلام ، وللحفاظ علي الدولة بعد إقامتها ومحاولة إحيائها من جديد بعد سقوطها ، وأن هذه المهمة موجودة لا تنقطع أبدا ، وعمل أهل الحل والعقد و [العلم] هو: الشوري -

[23] / زاد مسلم في رواية أبي مسعود عن حذيفة " فنحن فيه ".
[24] / في رواية نصر بن عاصم " فتنة ".
[25] / في رواية ربيع بن خالد عن حذيفة عن أبي شيبه فما العصمة منه " قال السيف ". قال فهل بعد السيف من تقية قال " نعم هدنة ".
[26] / في البخاري " يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي ".
[27] / وفي حديث أم سلمة عند مسلم " فمن أنكر بريء ومن كره سلم ".
[28] / في رواية أبي الأسود " فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس ".
[29] / وفي رواية أبي الأسود " ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك ".
[30] / زاد في رواية أبي الأسود " تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ".
[31] / وكذا في رواية خالد بن سميع عند الطبراني " فان رأيت خليفه فالزمه وان ضرب ظهرك فان لم يكن خليفة فاهرب " الطبراني.
[32] / في رواية عبد الرحمن بن قرط عن حذيفة عند ابن ماجه " فلئن تومت وأنت عاض علي جزل خير لك من أن تتبع أحداً منهم " والجزل: عود ينضد تتحدث به الإبل (ابن ماجه).

الحسبة - الاختيار.وشوراهم: ملزمة. والحسبة أن يكونوا رقباء علي عمل الأمير وتصرفاته المالية والسياسية والدينية وغير ذلك. والاختيار، فبهم تنعقد البيعة ولهم حق العزل. ولهم شروط وهي:

- العدالة - الكفاءة - التمثيل

كما كان السعود الخمسة يمثلون أحياء الأنصار وأبو بكر وعمر يمثلان المهاجرين.

روي البزار والطبراني عن أبي هرير ة: أتي الحارث النبي صلي الله عليه وسلم فقال يا محمد ناصفنا تمر المدينة وإلا ملأناها عليك خيلا ورجالا قال: لا حتي أستأمر السعود، سعد بن عباده، وسعد بن معاذ، وسعد بن خثيمة، وسعد بن الربيع، وسعد بن مسعود فكلهم قالوا: والله ما أعطينا الدنية في أنفسنا في الجاهلية ، فكيف وقد جاء الإسلام فأخبر الحارث فقال: " غدرت يا محمد ".

وبهذا تكون الخلافة راشدة ، فإن ضعف عمل أهل الحل والعقد وضعف دعم الجماهير لهم ، ولم تقم جماعة النجاة بدورها ، ولم تقم الأمة التي قال الله عنها فينا " ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " تحولت الخلافة إلي جبرية ثم إلي ملك عضوض ، وهي مع ذلك خلافة ما دامت تجتمع علي الإسلام وتنتسب إلي الشريعة ، والخير في الراشدة ، والدخن في الثانية ، ثم انتهت إلي سقوط الدولة المسلمة ، واجتما ع الأمة علي غير الإسلام.

فالأمة هي صاحبة الحق في تولية الحكام وعزلهم ، ولها حق الرقابة عليهم من خلال علمائها ، فالأمة هي الأصل والحاكم فرع منها ، ولا يمكن تقديم الفرع علي الأصل ، أو الجزء علي الكل ، ولا التابع علي المتبو ع ، فان هذا قلبا للأمور وإفسادا للأمة.

ومن هنا فنحن أمام وضعين أدوا إلي تدهور الدولة الإسلامية : خلل في المفاهيم أدى إلي الافتراق الديني والذي بدوره أضعف قوة الالتزام ، خلل في أنظمة الحكم أدى إلي التفرق الدنيوي الذي أضعف القوة الاجتماعية للمسلمين .

(ب) موقف العلماء :

ولننظر إلي موقف العلماء من هذين الجانبين ، فقد قام العلماء بما عليهم من بيان الحق ومفاهيم الإسلام الشرعية ، وقد لا قوا ما لاقوا من مشقة وأذي من جانب من ينتسبون إلي العلماء ، ومن جانب الحكام ، بل ومن جانب الأمة أيضا.

وبالنسبة لموقف العلماء من الحكام فهو موقف لا يتعدي أمرين : أما اعتزال الباطل باعتزالهم للحكام ، أي كره القلب وهذا أضعف الإيمان ، أو الاقتصار علي مجرد البيان ، أي مجرد الاقتصار في المواجهة علي مجرد الإنكار بالكلمة أمام السلطان ، وهذه درجة أعلي من السابقة ، مما ترتب عليه الانعزال بالناس عن قضايا الحكم والسياسة ، وإهمال العنصر الثالث وهو المواجهة باليد ، وهذا هو الذي أدى إلي تعظيم دور الكلمة في غياب عنصر المواجهة باليد ، أي عنصر القوة مما أعطى فرصة للحكام أن يفعلوا بالأمة والعلماء ما يريدون ، مع اختلاط بعض العلماء الأخرين بالسلطان ، وفق مقاصد شرعية قد تكون موافقة أو مخالفة لمقاصد الشريعة في حفظ الأمة وبيان الحق.

فنحن هنا أمام اغتصابين :

الأول : اغتصاب حق الله في الحكم من قبل الحكام الطواغيت ، وهذا كفر بواح مضاد لحقيقة التوحيد ولا إله إلا الله ، وهذا حق خالص لله لا يقوم به إلا الله ، وهذا يستوجب الخروج لانتزاع حق الله من أيديهم ، ورده إلي صاحبة ملك الناس رب العالمين.

والثاني : هو اغتصاب حق الأمة الخالص من قبل الحكام وهي معصية بواح وهي حق لله أيضا لا يقوم دين الله بالمعني الشرعي الصحيح إلا به ٠وهذا أيضا يستوجب الخروج وذلك من خلال إعداد الأمة وتجييشها لرد الاعتداء علي حقوقها وأي كلام غير هذا هو خروج عن المنهج الشرعي الصحيح٠

فالمنهج الإسلامي له جانبين أساسين وكلاهما يقع علي عاتق العلماء:

١ / البيان وهو في مواجهة البيان من قبل بطانة الحاكم الظالم ، أو بطانة الحاكم الكافر .

٢ / وإعداد القوة المادية المبنية علي الدفع والمواجهة والتي تواجه بها الأمة من يغتصبوا منها حقوقها ، ومن هنا كان الاقتصار علي أحدهما وهو جانب البيان وإهمال الجانب الآخر وهو القوة مع امتلاك الطرف الآخر وهو النظام الحاكم القوة المادية القادرة علي حسم أي خروج عليه ، طلبا لقيام الحق ورد الحقوق المغتصبة للأمة صاحبة الحق ، هو الذي أدي إلي أن تعيش الأمة في منطق الضرورة قرونا عديدة أكسبتها القابلية للاستعباد والرغبة في عدم الخروج عليه ، فقد ظلت الأمة في وضع الاستضعاف الذي يحكمه منطق الضرورة قرونا وذلك مع سعي بعض العلماء إلي حماية هذا الوضع عن طريق إعطائه الشرعية مستندا إلي بعض القواعد الشرعية كدرء اعلي المفسدتين باحتمال أدناهما وعلي أساسه قالوا بولاية المتغلب والتوريث.

وفي الحقيقة أن هذا الأمر محل نظر ، لأنه كما قلنا أن الأمة أصل وان الحاكم فرع ولا يمكن أن يتقدم الفرع علي الأصل ، فان الأمر في الحقيقة معكوس ، فأعلي المفسدتين هو اغتصاب حق الأمة من قبل الحكام وكان من الاولى بدلا من اللجوء الى منطق الضرورة أن يعيدوا النظر فى أسلوب المواجهة حيث عدم الاعداد الصحيح للمواجهة لرد الحقوق المغتصبة الى الامة هو الذى أدى الى فشل كثير من الثورات ومن هنا كان من الممكن أن تصل الامة الى الرشد فى المواجهة ومن ثم تستطيع أن تعيد حقوقها وتوقف مسلسل الانحدار الذى تمضى فيه الامة والذى وصل بها الى نهايتها بسقوط الخلافة العثمانية.

فالصراع علي الحكم أودى بحياة كثير من أبناء الأمة ، كما أن مبدأ التوريث الذي كان يأتي بالصالح والطالح ، والكبير والصغير فاقد الأهلية ، وما يقوم به الصالح يأتي من بعده الطالح فيفسده ، مع وجود الصراع علي الملك وهو السبب الرئيسي في تفتيت الأمة إلي دويلات وإمارات والسبب في القضاء علي الدول الإسلامية التي حكمت العالم الإسلامي ، مع انتشار العديد من البدع والمعاصي والشرك التي عمت المجتمع الإسلامي ، وإلي قسمه إلي دولة سنية وشيعية ، وانتشار الإرجاء والخوارج إلي غير ذلك من الفرق ، والتي حاول العلماء مواجهتها ولكنهم عجزوا أمام الأوضاع المزرية في المجتمع الإسلامي نتيجة اعتمادهم علي البيان فقط دون اعتماد القوة.

ومن هنا كان البيان الشرعي الصحيح مغمورا مع طوفان البدع الذي عم المجتمع الإسلامي مما أضعف قوة الالتزام ومع فساد النظام السياسي الذي كان يقف أمام علماء الحق للتخلص منهم إما بالطرد أو السجن أو القتل ، ودخول الأمة في تأصيلات شرعية أبقتها في دائرة الاستضعاف الذي لم تخرج منه قرونا عديدة مما

أعطاها القابلية للاستعباد وعدم القدرة علي المواجهة ، وكلا الأمرين انتقل معها مع سقوط الدولة الإسلامية التي تحكم بشرع الله إلي الدولة العلمانية.

ولا يعني هذا أن العلماء لم يقفوا في وجه الحاكم الظالم بالخروج عليه لرد الحقوق المغتصبة إلي الأمة بل وقف الكثير من العلماء في وجه الحكام بثورات ضدهم[٣٣] وهذا هو الوضع الطبيعي للطائفة المنصورة (جماعة العلماء) وهذه هي وظيفتها ، أن تكون قائمة علي الحق مقاتلة من أجله لا يصدها عن ذلك شيء ،وان هذه الطائفة قد بينت الأحاديث أنها مستمرة لا تنقطع إلي يوم القيامة وهذا بعكس جماعة الخلفاء التي انقطعت.

رابعاً : أثر التوجهات النظرية المختلفة علي المجتمع الإسلامي بعد سقوط الخلافة

وهذه الفترة تبدأ ببداية سقوط الدولة العثمانية إلي يومنا هذا ، وهذا لا يعني إلغاء الوجود التاريخي للمسلمين كأفراد ، أو كطائفة مصداقا لحديث رسول الله صلي الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علي الحق لا يضرهم من خالفهم او خذلهم حتي يأتي أمر الله وهم كذلك) إنما يلغي فقط وجودها كدولة وهو مصداق حديث حذيفة رضي الله عنه (كيف الأمر إذا لم تكن جماعة) وهي جماعة الخلافة أي التمكين والدولة.

في هذا الواقع قامت الدولة في المجتمع الإسلامي علي أساس الإطار النظري الغربي وذلك نتيجة لما تعرض له المجتمع الإسلامي من محاولات التغريب المستمر وذلك بالإضافة إلي فرض التحاكم إلي شرع غير شرع الله عن طريق الاحتلال بالقوة ، مع قيام بعض الحركات الإسلامية التي استمدت إطارها النظري من مفاهيم العصور المتأخرة في مسيرة الدولة المسلمة والذي قد علق به كثير من الخلل والدخن والذي ادي إلي ضياع الدولة بل ضياع الحضارة الإسلامية مما مهد السبيل إلي إحلال الحضارة الغربية أو بالتعبير الإسلامي الجاهلية في تولي قيادة العالم بدلا من الحضارة الإسلامية وتنحيتها عن حكم وتولي قيادة العالم.

يقول الشيخ عبد المجيد الشاذلي : ومع تفاقم جرثومة الإرجاء بقصر الإيمان علي تصديق الخبر بالقلب أو باللسان أو بهما معًا دون قبول الحكم، وانتشارها ليس فقط بين عوام الناس بل بين أهل الألسنة والجدال ومع دخول العلمانية إلي ديار الإسلام وإعلان العلمانيين في بداية الأمر أنهم مسلمون وأن العلمانية لا تتنافي مع الإسلام هنا تبددت الهوية بتعدد الشرعية والتبس الأمر علي الناس.

ثم مع غياب مفاهيم الولاء والبراء الصحيحة، صرح العلمانيون بعد ذلك بأنه لا يجب الإلتقاء علي أساس الدين بل عندهم الولاء والبراء علي غايات أخري كالوطنية والقومية.

فمع جرثومة الإرجاء وغياب مفاهيم الولاء والتوجه الصوفي في الأمة وهجمة العلمانية الشرسة ووجود بعض ظواهر الاغتراب هنا تميعت الأمور، واختلطت المفاهيم وحدث الإلتباس لدي الناس حول مفهوم العقيدة وهي: (تحقيق العبودية لله بقبول شرع الله ورفض ما سواه) ومفهوم الشرعية وتميع الاجتماع الشرعي وتميعت مفاهيم السمع والطاعة ومفاهيم عصمة الدم والمال.

وفي ظل هذا الالتباس والتميع استطاعت العلمانية أن ترسخ أقدامها دون أن يتحدد موقف المسلم منها ودون أي مقاومة تُذكر من الأمة.

---

[٣٣] / ولكن نتيجة لعدم الإعداد الجيد والتنظيم المحكم فشلت هذه الثورات في رد حقوق الأمة

وفي نهاية القرن التاسع عشر، طرح العلمانيون فكرة الالتقاء والانتماء والتجمع علي فكرة القومية العربية[٣٤] (الرابطة أو الجامعة العربية) بديلاً عن الرابطة الإسلامية ثم لم يكتفوا بذلك بل أرادوا للأمة مزيدًا من التشرذم، فطرحوا بعد الحرب العالمية الأولي فكرة الوطنيات المختلفة التي كانت سائدة في التاريخ القديم السابق علي الإسلام كالوطنية المصرية القديمة (الفرعونية) والآشورية والبابلية والفينيقية والفارسية والهندية والطورانية وغيرها من الوطنيات والقوميات الجاهلية[٣٥] التي بدأت تنخر في عظام الأمة لتسلمها إلي مزيد من ترسيخ العلمانية وإبعاد الأمة عن هويتها.

ثم لم يكتفوا بكل هذا بل يحاولون الآن جعل (الفرانكفونية) والشرعية الدولية والشرق أوسطية هي الرابطة - أو الروابط - التي يجتمع حولها الناس، ومسح أي هوية سابقة لهذه الأمة لتمريغ أنفها في التراب وإذلالها وجعلها تابعة - في هذه الهوية - لأحفاد القردة والخنازير

يقول سفر الحوالي : (ولئن كان علماء الإسلام في العصور الوسطي من المرجئة أو من المتأثرين بالإرجاء يحجمون عن تكفير ملاحدة وحدة الوجود وأمثالهم من الزنادقة الساخرين بالدين من الكتاب والشعراء ويتمحلون لهم التأويلات والتبريرات ، فقد استغني علماء الإرجاء في عصرنا الحاضر عن هذه التأويلات ، لأن الإسلام في عرفهم وراثة لازمة كما تورث الأسماء وأحرف تكتب في الهوية لا ينسخها عمل ولا قول يرتكبه حاملها ، ولهذا تجرأ الملاحدة زعماءً وكتاباً علي دين الله سخرية واستهزاءً ، وأصبح هذا ميداناً لزعماء ومفكرين وملهاة للشعراء والصحفيين ، وجرت ألفاظ الاستهزاء علي ألسنة العوام ، فأصبحت في أحيان كثيرة كالسلام ، وعم البلاء حتي تعدي مجال الاستهزاء إلي مجال الكفر الجاد الجلي الذي كان أمراً محذورا ، ولو عرفاً وعادة ، فنسي الناس تكفير الباطنية والقرامطة والدروز والناصرية ، وغاب عنهم تماماً كفر طواغيت الخرافة والسحر .

أما طواغيت الحكم والتشريع ، فقد نسخوا شريعة الله جهارا نهارا وحكموا شرائع الطاغوت في الدماء والأعراض والأموال ، وألزموا الناس مناهجهم ووسائل تربيتهم بموالاة الكفار ، والموبقات دروبا وألوانا ، وسخروا من الحدود والحجاب وتعدد الزوجات وأحكام الميراث والعبادات ، وانضم أغلب الطبقة المثقفة كما يسمونها إلي الأحزاب الكفرية ، والمنظمات الإلحادية والمذاهب الأدبية التي تستر الكفر بالشعر ، وسقط حد الردة إلا من كتب الفقه الموروثة ، بل ظهر في صفوف المنتسبين إلي الدعوة الإسلامية اتجاه جديد ينكر حد الردة ضمن ما ينكر من حدود الإسلام وأصوله ، ومر علي الأمة الإسلامية أجيال بل قرون لم نسمع فيها أن حد الردة أقيم علي زنديق مجاهر أو ملحد مكابر ، في حين ان الآلاف من الأرواح تزهق لأسباب سياسية أو خلافات شخصية).

فما كانت نتيجة غياب الهوية الإسلامية عن الأمة ؟

عند غياب الهوية الإسلامية - كهوية حقيقية راسخة ذات جذور - في بلد مسلم يحدث اغتراب (فراغ سياسي وفقدان انتماء) لضعف الاجتماع علي غيرها من الهويات المستعارة لهذه الأمة وعدم قدرة هذه الهويات علي ملء الفراغ الذي تركته الهوية الإسلامية وهذا يؤدي إلي:

[٣٤] / راجع د. محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية ص ٢٠٢ - ٢٠٨.

[٣٥] / المرجع السابق ص ٢٣٦ وما بعدها.

١ - حكم الأراذل:

عند حدوث الاغتراب يفقد شرفاء الأمة وحكماؤها سيطرهم علي الأمة ؛ لأن المجتمع يصبح همجًا رعاعًا أتباع كل ناعق يميلون مع كل صائح نتيجة تعدد محاور الاستقطاب في الأمة فلا تجتمع الأمة حول أهل الشرف والمكانة والرأي الراجح، بل قد تجتمع حول بعض المضللين والدجالين وأراذل الناس أو يتبعثر الناس حولهم.

٢ - التبعية للخارج:

لقيام دول أو دويلات صغيرة نتيجة التفتيت ولانفصالها عن مشروعها الحضاري الإسلامي الكبير وهذا يؤدي إلي الدخول في التبعية للكيانات الكبيرة لملء الفراغ السياسي وحمايتها داخلياً وخارجياً لعدم وجود الرصيد الشعبي الناتج عن ضعف القواعد الشعبية وذبذبة ولاءها وقبولها لكل هوية حيث لا هوية لها.

٣ - الفساد:

ويتولد بالضرورة مع وجود التبعية وحكم الأراذل، كما أن انتشار الفساد يدعم حكم الأراذل ويمهد للتبعية، وهذا يفسر الدائرة الخبيثة النكدة التي تحياها الأمة الإسلامية والتي تجمع بين النواتج الثلاث.)

ومن هنا ظهرت في المجتمع الإسلامي مجموعة من التوجهات النظرية منها ما هو غربي ومنها ما هو إسلامي ، منها ما يقبل الالتقاء ، ومنها ما لا يقبل الالتقاء ، فالرؤية النظرية الإسلامية التي اعتمدت علي الفهم المتأخر للإسلام تسمح بالالتقاء مع الرؤية النظرية الغربية في المفهوم وعلي أرض الواقع والتقاطع في المصالح ، وقد عشنا هذا الالتقاء من الناحية النظرية حيث أن المفهوم لا يمنع من الالتقاء بين الإسلام والعلمانية ، لانه مجرد التصديق ، ومن ثم لا تعارض مع العمل بأي شرع كان ، لأنه لا يخرج من الإيمان والإسلام.

ومن الناحية العملية في الواقع حيث الدولة تتحاكم إلي شرع غير شرع الله ، ومن ثم لم تنتج العلاقة بينهما (أي بين المجتمع الإسلامي والدول الغربية المحتلة لبلاد الإسلام) في أوقات السلم والحرب معها كما حدث في الحروب العالمية ، أو ضدها إلا أشكالا من العلاقات القائمة علي التصور الغربي للدولة العلمانية ، وان اختلفت في بعض ملامحها ، وهذا أمر راجع لاختلاف شكل الجماعات والمجتمعات عن بعضها البعض الأخر مع اتفاقهم في الأصول العامة.

وهذا ما يفسر لنا مواقف بعض الحركات التي تنتمي إلي الإسلام سواء كان الانتماء سني كحماس أو شيعي كحزب الله إلا أنها تتفق في الأصول العامة مع الدولة الغربية من حيث النظام السياسي (العملية الديمقراطية والوطن والمواطنة كنقطة التقاء ومحور ولاء وذلك بالرغم مما قام من حرب بينهما وبين نموذج الدولة الغربية (إسرائيل) إلا أنها تتفق معها في الأصول العامة وكذلك مع الدول العلمانية المحيطة بهم والتي يعيشون معها ومن ثم نجد اللقاءات والتفاهمات بينهما وبين النظم العلمانية علي هذه الأسس ، بل والدخول في العملية السياسية للدولة العلمانية.

ومن هنا لا يكون الصراع بينهما صراعا مصيريا ، إنما هو صراع محدد ومؤقت بمكان وزمان معين وفق أرضية مشتركة ، كما أن طبيعة العلاقة تسمح بتقاطع المصالح حينا وتنافرها حينا آخر، كما يحدث بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية وبين حزب الله والدولة اللبنانية وكذلك بين حماس والسلطة الفلسطينية وكذلك

ما يصدر من حركات كمن يدعوا السلفية في ولائهم للنظم العلمانية والدفاع عنها وحرب كل من يـدعوا إلي عدم شرعية هذه الأنظمة والخروج عليها.

أما الرؤية التي تستند إلي مفهوم الإسلام المحض كما جاء به رسول الله صلي الله عليه وسلم فالأمر يكون مختلفا تماما فنحن أمام رؤية نظرية أخرى تختلف عن كلا الرؤيتين من حيث الأصول ومن ثم من حيث طبيعة التـصور والمجتمع والفرد ومن ثم تختلف العلاقات واليات الصراع بين التصورين كتصورين ومجتمعين وحضارتين مختلفتين تمام الاختلاف لا التقاء بينهما لا في التصور ولا في المفهوم بين الظاهرة الإسلامية الربانية القائمة علي التـصور الرباني وبين الظاهرة البشرية التي تعتمد علي التصور البشري ، ومن ثم لا التقاء ولا تقاطع مـصالح في الواقـع بين الجاهلية والإسلام ، إنما هي علاقات يرسمها ويحددها المنهج الرباني لتحقيق حاكمية الله في الأرض ، ومـن ثم فهو الطريق المستمر الصاعد إلي هذه الغاية ، والذي لا يلغي البعد الإنساني عن الذين لا يحاربون الإسـلام ولا يقفون في وجهه.

بل من مهام هذا المنهج الرباني تحرير الإنسان كل الإنسان في الأرض من حكم الطواغيت ، وهـذا الجانـب الإنساني لا يتعارض مع حاكمية الشريعة فهي تحافظ علي الجانبين ، إنسانية الإنسان وكرامته بتحريره من الظلم والبطش وإعطائه الحق في ان يختار عقيدته والجانب الثاني تعبيد الأرض كل الأرض لله وحدة لا شريك له .

ولكن هذا المفهوم الصحيح لم يظهر علي أرض الواقع في تلك الفترة ، وقد مر بمراحل حتي ظهر علي أرض الواقع كاملا علي يد العلامة سيد قطب رحمه الله

ومن هنا فإن أي وصف غير صحيح للظاهرة من خلال نموها وعلاقتها بالمجتمع من حولها لن يصل بنا إلي شـيء ، كما أن الاعتماد علي المفاهيم الغربية أو المفاهيم المتأخرة التي انتشرت في المجتمع الإسلامي وكانت سـببا في هلاكه والقضاء عليه ، لن يصل بنا إلي شيء أيضا .

فقد استخدمت هذه المصطلحات والمفاهيم لا لنصرة الإسلام في ثوبه الشرعي الصحيح ، بل كأداة فعالـه في الحرب علي الإسلام ، سواء من المفاهيم الغربية التي يروج لها من يروج من مفكري الدولـة العلمانيـة الـتي تعيش في أرض الإسلام ، أو من يحمل تلك المفاهيم المتأخرة في المجتمع الإسلامي ، والذي تمثـل مـن خـلال حركات إسلامية كانت في البداية تسعي إلي إحياء الخلافة وتطبيق شرع الله ، ثم انتهت ليس إلي حماية للدولـة العلمانية وتحقيق مصالحها فقط ، بل إلي حماية الدول الصليبية التي احتلـت أرض الإسـلام مـؤخرا ، تحـت شعارمحاربة التطرف والإرهاب - الحوار بين الأديان - التعايش السلمي ، كل هذا في الوقت الذي تبتلع فيـه الجاهلية العالم الإسلامي.

فمن الضرورى إذن الاعتماد علي الفهم الشرعي الصحيح لأنه يحدد الطريق أمام الحركة الإسلامية الراشـدة ، ويبتعد بها عن الطرق المعوجة التي تسمح لها بالالتقاء بالجاهلية في أي مرحلة من مراحل الطريق.

كما أن التقصير في فهم بعض الأصول الشرعية عند بعض العلماء ، يؤدي إلي انحرافات عدة ، فمنها علـى سبيل المثال الاشتراك مع التوجه الغربي ومن معه من التوجهات الإسلامية المنحرفة في بعـض المفـاهيم !!! كالاشتراك في مفهوم الإرهاب ، أو في وصف عمليات تفجير الأفراد في العدو علي أنها عمليات انتحاريـة ، أو الدعوة إلي حل ما يسمي بالدولة الإسلامية في العراق .. إلي غير ذلك من المفاهيم التي تمثـل مـساحة مـن الاتفاق مع التوجه المحارب ، والاختلاف مع التوجه الموافق ، والذي يمثل الإسلام المواجه ، وقد نجح الأعداء في

استغلال ذلك أسوأ استغلال ، وقد أدى ذلك إلى تجرؤ بعض من داهن في دينه وخان قضيته علـى المجاهـدين والوقوف ضدهم .

كل هذا نتيجة التقصير في فهم بعض الأصول الخاصة بالإسلام المحض ، أو السنة المحضة ، مما يؤكد لنا التركيز علي أن يكون المفهوم سنيا سلفيا محضا ، لأن أي نقص فيه يؤدي إلي نوع من الانخرام يعود علي الحركة نفسها بالنقص أو النقض ، كما أنه لا بد من اتخاذ المنهج الصحيح منهج الإسلام ، لأن اتخاذ أي منهج آخر لن يـصل بنا إلي تطبيق الإسلام ، كما أن أي نقص أو تقصير سوف يؤدي إلي نقص أو نقض في الوصول لدولة الإسلام :

يقول العلامة سيد قطب (والقاعدة النظرية التي يقوم عليها الإسلام- علي مدار التاريخ البشري- هي قاعدة: "شهادة أن لا اله إلا الله" أي أفراد الله- سبحانه- بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية.. إفـراده بها اعتقاداً في الضمير، وعبادة في الشعائر، وشريعة في واقع الحياة. فشهادة أن لا اله إلا الله،لا توجد فعـلاً، ولا تعتبر موجودة شرعاً إلا في هذه الصورة المتكاملة التي تعطيها وجوداً جدياً حقيقياً يقوم عليـه اعتبـار قائلـها مسلماً أو غير مسلم.

ومعني تقرير هذه القاعدة من الناحية النظرية.. أن تعود حياة البشر بجملتها إلي الله، لا يقضون هم في أي شـأن من شؤونها، ولا في أي جانب من جوانبها، من عند أنفسهم، بل لابد لهم أن يرجعوا إلي حكم الله فيها ليتبعوه.. وهو رسول الله. وهذا يتمثل في شطر الشهادة الثاني من ركن الإسلام الأول: " شهادة أن محمد رسول الله".

هذه هي القاعدة النظرية التي يتمثل فيها الإسلام ويقوم عليها.. وهي تنشئ منهجاً كاملاً للحياة حين تطبـق في شؤون الحياة كلها، يواجه به المسلم كل فرع من فروع الحياة الفرديـة والجماعيـة في داخـل دار الإسـلام وخارجها، في علاقاته بالمجتمع المسلم وفي علاقات المجتمع المسلم بالمجتمعات الأخري. [٣٦]

ولكن الإسلام- كما قلنا- لم يكن يملك أن يتمثل في (نظرية) مجردة، يعتنقها من يعتنقها اعتقاداً ويزاولها عبادة، ثم يبقي معتنقوها علي هذا النحو أفراداً ضمن الكيان العضوي للتجمع الحركي الجاهلي القـائم فعـلاً. فـان وجودهم علي هذا النحو- مهما كثر عددهم- لا يمكن ان يؤدي إلي "وجود فعلـي" للإسـلام، لان الأفـراد (المسلمين نظرياً) الداخلين في التركيب العضوي للمجتمع الجاهلي سيظلون مضطرون حتماً للاستجابة لمطالب هذا المجتمع العضوي.. سيتحركون- طوعاً او كرهاً، بوعي أو بغير وعي- لقضاء الحاجات الأساسية لحياة هذا المجتمع الضرورية لوجوده، وسيدافعون عن كيانه، وسيدفعون العوامل التي تهدد وجوده وكيانـه، لان الكـائن العضوي يقوم بهذه الوظائف بكل أعضائه سواء أرادوا أم لم يريدوا.. أي أن الأفراد (المسلمين نظرياً) سـيظلون يقومون (فعلا)بتقوية المجتمع الجاهلي الذي يعملون (نظرياً) لإزالته، وسيظلون خلايا حية في كيانه تمده بعناصـر البقاء والامتداد! وسيعطونه كفاياتهم وخبراتهم ونشاطهم ليحيا بها ويقوي، وذلك بدلاً من أن تكون حركـاتهم في اتجاه تقويض هذا المجتمع الجاهلي لإقامة المجتمع الإسلامي!

ومن ثم لم يكن بد أن تتمثل القاعدة النظرية للإسلام (أي العقيدة) في تجمع عضوي حركي منذ اللحظة الأولي.. لم يكن بد أن ينشأ تجمع عضوي حركي آخر غير التجمع الجاهلي، منفصل ومستقل عن التجمـع العـضوي الحركي الجاهلي الذي يستهدف الإسلام إلغاءه، وان يكون محور التجمع الجديد هو القيادة الجديدة المتمثلـة في رسول الله- صلي الله عيه وسلم- ومن بعده في كل قيادة إسلامية تستهدف رد الناس إلي ألوهيـة الله وحـده

[٣٦] / راجع فصل "لا إله إلا الله منهج حياة".

وربوبيته وقوامته وحاكميته وسلطانه وشريعته- وان يخلع كل من يشهد أن لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله ولاءه من التجمع الحركي الجاهلي - أي التجمع الذي جاء منه- ومن قيادة ذلك التجمع- في أية صورة كانت، سواء كانت في صورة قيادة دينية من الكهنة والسدنة والسحرة والعرافين ومن إليهم، او في صورة قيادة سياسة واجتماعية واقتصادية كالتي كانت لقريش - وان يحصر ولاءه في التجمع العضوي الحركي الإسلامي الجديد، وفي قيادته المسلمة)٠

وهذا هو المنهج الشرعي الذي يجب علي الأمة بقيادة علمائها أن تلتزم به سواء في عودة الإسلام أي الدولة المسلمة التي تتحاكم إلي شرع الله من جديد ، أو في مواجهة الدولة المسلمة التي تغتصب حقوق الأمة أو في مواجهة الجماعات والفرق التي تخرج عن السنة إلي البدعة أما التقصير في تطبيق المنهج فانه سوف يؤدي إلي كثير من الانحرافات وكثير من إهدار لحقوق الأمة وطاقاتها وعقيدتها ٠

خامسا :- الظاهرة الإسلامية بعد سقوط الخلافة :

بدأت الظاهرة الإسلامية منذ سقوط الخلافة بمحاولات إعادة الخلافة إلي أرض الإسلام مرة أخري وقد تمثلت في ثورات أو محاولات تجميع يقودها زعماء للحركة الإسلامية ، وهي إما ثورات تقوم علي أساس تحرير الوطن من المحتل ، أو حركات تسعي إلي عودة الخلافة مرة أخري مع تأثر كل منهما بالمفاهيم الغربية ،أو بمفاهيم العصور المتأخرة للإسلام ، ومن هنا كانت الثورات تقوم علي الوطنية ، وكذلك قضية إعادة الإسلام إلي الأرض أخذت مع الشكل التجميعي وهو الدعوة إلي الإسلام ، أخذت الطابع الغربي وهو السعي لتطبيق الإسلام من خلال المجالس النيابية ، ومع وجود تشريع مخالف للإسلام تشريع وضعي يقصي حكم الإسلام عن الحياة العامة ، ما عدا النواحي الشخصية ، أو ما آل إليه الأمر من إقصاء حكم الإسلام بالإطلاق في كل النواحي الخاصة والعامة بعد ذلك ، فلم يكن هناك تأصيل شرعي صحيح يواجه هذه الظاهرة ، وذلك لان المفاهيم السائدة (أن الإسلام هو الكلمة ، وان جانب العمل الذي يتصل بالحكم خارج عن مفهوم الإسلام)٠

ومن ثم فان غياب التأصيل الشرعي لهذا الواقع الجديد يعتبر من الأمور الخطيرة التي ساعدت علي بقائه إلي يومنا هذا في المجتمع الإسلامي ، يحكم به ويتحاكم إليه أبناء المسلمين ، ويتدارسونه في جامعاتهم ، وذلك حتي مع وضوح التصور الإسلامي عند البعض من العلماء ، كالشيخ أحمد شاكر ومحمود شاكر وعبد الرازق عفيفي ومحمد حامد الفقي وغيرهم ، واعتبارهم أن هذا التشريع الوضعي كفر، وأنه دين آخر غيردين الإسلام ، وأنه بلاء ما ابتلي المسلمين في تاريخهم بمثله قط إلا أيام التتار ، وقد ثار العلماء عليه وبينوا حكمه وتم القضاء عليه ، إلا أن هؤلاء العلماء كان عندهم الفصل بين الحكم والواقع ، ومن ثم لا صلة للحكم الشرعي بواقعه حيث أن الحكم الشرعي لا بد فيه من ركنين الحكم الشرعى نفسه والواقع الذى يتزل عليه الحكم هذه هى حقيقة الحكم الشرعى لا مجرد كلام بعيد عن الواقع حتى ولو كان صحيحا ، فاصبح الأمر كاستنبات البذور في الهواء ، أو الحرث في الماء ، حكم شرعي لا صلة له بالواقع ، وذلك من آثار الإرجاء الذي ساد العالم الإسلامي ٠

ومن هنا فالتشريع الوضعي كفر مخرج من ملة الإسلام ، إلا أن القائمين عليه وحراسه ليسوا بكفار عندهم ، وهم أولياء الأمر الشرعي يجب طاعتهم ويحرم الخروج عليهم في الواقع ، ومن هنا كان إنكارهم لمن قتل

النقراشي ، وإنكارهم لحادث المنشية المفتعل مع عبد الناصر، ومن ثم إنكار من يمثل امتدادا لهم لحادث المنصة أو الفنية العسكرية إلي غير ذلك من الأمور الناتجة عن اعتبارهم أولياء الأمر الشرعيين يحرم الخروج عليهم •

ومن ثم انتهت الثورات والحركات في المجتمعات الإسلامية إلي دول علمانية تأخذ طابع الشرعية ، ومن ثم كان فقه المرحلة الأولي إباحة قتال المحتل الخارجي لأنه كافر صليبي أو يهودي ، ومن ثم كانت الثورات الشعبية أو التنظيمات السرية للجماعات الإسلامية كالإخوان المسلمين ،(مع إنكار بعض التوجهات الإسلامية لها) ، كانت مقتصرة علي مواجهة المحتل الخارجي فقط •

أما الموقف من النظم الحاكمة فهي نظم إسلامية لم تخرج عن الشرعية ، وإن حكمت بغير شرع الله يحرم الخروج عليها ومقاتلتها وبالتالي السمع والطاعة لها وولائها .

ومن ثم كانت المرحلة الثانية والتي تتمثل في قضية التحرر الوطني من المحتل الخارجي الكافر، وحكم أبناء المسلمين لبلادهم وان حكموا بغير شرع الله (وهي مرحلة ما يسمي بالاستعمار الحديث، أو المحتل الداخلي ، أو حكم العملاء وهي مرحلة تكريس العلمانية والتبعية والتخلف والفقر والمرض والانهزامية وحكم الأراذل) ، هي المرحلة التي تمثل الاتساق مع مفاهيم الحركات الإسلامية السائدة ، وإن طالبت نظريا بتطبيق شرع الإسلام ، وأن تحكيم شرع غير شرع الله كفر ، إلا ان الأمر لا يتعدي ذلك ، فهو إما لا يدخل العمل بشرع الله في مفهوم الإسلام عندهم ، أو أنه يدخل نظريا ويتم تعطيله واقعا ، أو أنه مجرد كفر دون كفر (أي معصية) ففي كل الأحوال لا يفتقد الشرعية ، وهذا هو منتهي الفصل بين النظرية وواقعها ، ومن هنا ذهبت جهود هؤلاء العلماء في خدمة الجاهلية ومؤسساتها ، بدلا من أن تصب في خدمة الإسلام ومؤسساته •

وفي هذه المرحلة الثانية نجد التجديد من خلال إسهامات بعض العلماء بدأوا يرسمون للحركة الإسلامية طريقا جديدا بعيدا عن الإرجاء ، وذلك من خلال الفهم الشرعي الصحيح ، وذلك من خلال الالتقاء بين الحكم والواقع الذي ظل طويلا منفصلا ، إما في المفهوم وإما فى الواقع •

ومن هنا ظهر المودودي في باكستان والهند ، كما ظهر سيد قطب وعلي يديه اكتملت الظاهرة الإسلامية ، حيث استطاع ان يبين مفهوم الإسلام السني الشرعي المحض ، بل بين كذلك الصلة بين الواقع والمفهوم حيث أنه لا انفصال بينهما ، وأن لكل حكم واقع لا ينفصل عنه ولا يتخلف عنه •

ومن هنا بين أن الواقع الذي يعيشه المسلمون جاهلية لا تختلف عن الجاهلية الأولي حيث لا يحكمها الإسلام ، وأن الإسلام لا يمكن أن يتحقق من خلال المنظومة الغربية والمنهج الغربي ، بل لا بد من المنظومة الإسلامية والمنهج الإسلامي ، وأنه لا فرق في الإسلام بين النظرية والمنهج ، ومن ثم لا بد من التقيد بهما معا ، وأننا لا يمكن أن نصل إلي الإسلام والحياة الإسلامية إلا من خلال التقيد بالتصور الإسلامي والمنهج الإسلامي ، ومن ثم اكتمل المنهج الانقلابي الإسلامي بشقيه النظري والمنهجي ، الذي بدأه العلامة المودودي ، ثم ظهر مستويا على سوقه علي يد العلامة الشهيد سيد قطب ، والذي بين أن العقيدة لا يمكن أن تحيا إلا في وسط يؤمن بها ، وتواجه الجاهلية من حولها من خلاله ، وأنه بهذا تتربي الجماعة المسلمة ويتكون المجتمع المسلم من خلال التمسك بالنبع الصافي وحده القرآن والسنة •

ومن هنا كانت محاولات العلامة المودودي تطبيق الإسلام من خلال المجالس النيابية أو من خلال تقديم أسس النظام إلي المجتمع الجاهلي محاولات خاطئة ، لأن الإسلام لا يمكن أن يطبق إلا من خلال منهج الإسلام ، كما

أنه لا يمكن أن يطبق من خلال المجتمع الجاهلي الذي يرفض التحاكم إلي شرع الله ، والقائم علـــي محـــادة الله وذلك بتقديم أسس النظام الإسلامي إليه ، بل تقدم أسس النظام الإسلامي إلي مجموعة تؤمن به وتريد أن تجعله واقعا في حياتها ، وقد بين أنه لمواجهة الجاهلية يجب أن نواجهها بوسائل مكافئة لها ، البيان يواجهــه البيـــان ، والقوة المادية تواجهها القوة المادية .

ومن ثم أنشأ الحركة الإسلامية التي تولي قيادها لتكون الواقع الذي يتحقق من خلاله التصور الإسلامي ، والتي استطاعت أن تواجه الجاهلية من خلال البيان، واستطاعت أن تعريها وتتزع عنها اللافتات الكاذبة كمـــا أنها أعدت القوة لمواجهة الجاهلية للحفاظ علي الدعوة لما شعرت بسعي النظام الجاهلي للكشف عنها للقضاء عليها ،ولكن تم الإيقاع بالحركة وكان الصدع بالحق والثبات علي المبدأ والدفاع عن دين الله لا عن النفس ، ومـــن هنا كان سبيل الاستشهاد وإيثار الآخرة علي الدنيا وكشف وتعرية الجاهلية وقيام الحجة هو الطريق.[٣٧]

ومن هنا نعرف لما الهجمة العالمية الشاملة علي العلامة سيد قطب ، والاتفاق العالمي علي قتله، بـــل والاتفـــاق العالمي علي محاربة فكره حيا وميتا ، ودخل في هذا حركات تنتسب إلي الإسلام ، وهو الشهيد الحي الذي دافع بحياته ومماته عن الإسلام نحسبه كذلك إن شاء الله .

ومن ثم كانت الانطلاقة الحقيقية للحركة الإسلامية الراشدة ، وقد تمثلت في حركات أخـــذت علـــي عاتقهـــا استمرار هذه الانطلاقة والمسيرة ، فقامت الحركات الجهادية كجماعة الجهاد والجماعة الإسلامية التي تـــسعي إلي حمل الفكر الإسلامي والمنهج الإسلامي ، أخذت علي عاتقها مجاهدة هذه الأنظمة العلمانية الـــتي حكمـــت جميع بلاد الإسلام ، إلا أن هذه الحركات لم تستطع ان تحقق ما تصبوا إليه من تحكيم شرع الله .

وذلك لعدة أسباب منها:

أ - عدم النضج الحركي حيث عدم الإحكام في الحركة والتنظيم .

ب- وعظم مسالة الدماء في مجتمع يقوم علي الفكر الارجائي يري إسلام تلك النظم العلمانية وما تحميها مـــن مؤسسات .

ج- وجود بعض الحركات التي تعتبر تراجعا عما وصلت إليه الحركة الإسلامية من إنجازات علي يد مفكرهـــا العلامة سيد قطب (كالإخوان المسلمين) حيث بايعوا طاغوت مصر واستمرت منهم المسيرة والمبايعـــة لكـــل طواغيت مصر ، ومن ثم شكلت أحد أدوات النظام العلماني في حربه ضد الإسلام في إطار منظومة حرب الدين بالدين ، ولا يغرنكم من صراع بينهما ، إنما هو صراع تحكمه قواعد العلمانية للوصول إلي الحكم العلماني .

د- إنشاء بعض الجماعات عن طريق النظام الحاكم ، أو فتح الباب أمام بعض الحركات من خـــلال الـــصفقة بينها وبين النظام الحاكم ، علي أساس القضاء علي الجماعات التي تمثل خطرا علي النظام العلمـــاني ، ومـــن ثم عائقا أمام هذه الحركات للانتشار .

ومن هنا كان الاجتماع بين الصليبية والصهيونية العالمية والنظام العلماني ومعهم بعض الحركات الإسلامية التي كانت تمثل خط التراجع ، أو التي عقدت صفقات مع النظام العلماني كالسلفية المدعاة ومن جـــري مجراهـــا ، وباختصار كل من أعطى الشرعية للنظام العلماني ، فقد دخل في مناصرته بقصد أو من غير قصد بوعي أو مـــن غير وعي(هذا حكم مجمل لا يعني ذلك كل فرد بعينه) .

[٣٧] / يراجع كتاب تنظيم ٦٥ – الشيخ أحمد عبد المجيد

وفي هذه الفترة لم تظهر العلاقة بين هذه الحركات الإسلامية والصليبية والصهيونية العالمية إنما تركزت في علاقات مع النظام العلماني ، ومن ثم مع النظام العالمي ولكن بصورة مستترة غير ظاهرة في غالب أوقاتها ، وقد وقعت بعض الأحداث في هذه الفترة كحادث المنصة مع السادات ، ومن قبلها حادثة الفنية العسكرية واستهداف بعض مؤسسات القوة للنظام العلماني كالشرطة كانت محل رفض من قبل هذه الحركات المناصرة للعلمانية .

تطورات سريعة :

ثم جاءت حرب أفغانستان والتي تمثل الملتقى لكل التيارات الجهادية في العالم الإسلامي والتي كانت تعمل من خلال الأقطار الموجودة فيها تصديقا لقول الله تعالي { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } التوبة (١٢٣)- وقد كانت تجربة أفغانستان هي المكان الذي نضجت فيه التجربة الجهادية واستقامت علي عودها واستطاعت فيه الحركة أن تصل إلي الرشد في المفهوم ، وكذلك الرشد في المواجهة ، واستطاعت ان تقضي علي الاتحاد السوفيتي ثاني أكبر قوة في العالم .

وقد مهد ذلك بفضل الله وحدة للمرحلة الثانية عبر الإعلان عن تشكيل "الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين" سنة ١٩٩٧ إثر خطاب الاندماج بين القاعدة وجماعة الجهاد المصرية ، ثم اتساع الأمر بعد ذلك ليشمل حركات علي مستوي العالم الإسلامي بل العالم كله ، فاتسعت نطاق الحرب بين المعسكرين معسكر الإسلام ومعسكر الكفر باستراتيجية جديدة ، اتسع فيها نطاق العمليات الحربية ليشمل كل مكان علي وجه الأرض ، لاستهداف المعسكر الصهيوصليبي وكل من يقف معه ويعاونه من دول العالم.

واتسع ليشمل الدول العلمانية التي تحكم العالم الإسلامي لحساب الصليبية والصهيونية العالمية (أي بالوكالة) ، فهي مرحلة جديدة بفقه جديد للواقع الذي نعيشه ، والذي تفرد بخصائص يختلف فيها عن أي واقع خلال تاريخ البشرية ، فكانت القلة القليلة في مواجهة جيوش العالم الجرارة ، وكانت المواجهة التي لم يشهد لها مثيل طوال التاريخ البشري كله ، وتحقق علي يديها وعد الله {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ }(٢٤٩) البقرة -

فكان الإثخان في العدو علي أشده من خلال : العمليات الاستشهادية والتي تمثل سلاحا رادعا في مواجهة التطور التقني والتكنولوجي الهائل عند الأعداء ،وفي محاولة اجتياز الهوة البعيدة بين المستوي التقني والحضاري في تطور السلاح عند الأعداء ، وما عليه الحال عند المجاهدين ، وقد كانت هذه العمليات مثار حرب إعلامية من قبل الأعداء ، وقد شاركهم في ذلك بعض العلماء الصادقين لقصور في الفهم الشرعي علي أنها انتحارية وليست استشهادية ، وهذا عجيب لأن هذه العمليات تؤيدها قواعد الشريعة الكلية القطعية ، فضلا عن أدلتها الجزئية ، التي لا يمكن أن تخالف القواعد الكلية .

ردود لازمة :

أ- فمن المعلوم بالاستقراء القطعي أن كلي الدين مقدم علي كلي النفس ، ومن ثم إهدار الأدنى في سبيل الحفاظ علي الأعلى هو الحق الذي لا مراء فيه ، كذلك درء أعلي المفسدتين باحتمال أدناهما يعني بالقطع أن مفسدة ضياع الدين أعظم من مفسدة قتل النفس ، ومن ثم تبذل النفوس في سبيل الدين ، ولا يعتبر قتل النفس هنا مفسدة ، بل هي عين المصلحة لأنه تتحقق بها أعظم المصالح ، وهو إقامة الدين ، وأن هذا تعضده قاعدة

تقديم أعظم المصلحتين علي أدناهما ، كما أن هذا يعضده فقه الواقع ، لأن المطلوب هو تحقيق النكاية في الأعداء وإرهابهم ، وأن ذلك يقتضي تقديم الوسائل الفعالة التي تؤدي إلي ذلك .

كما حدث من الصحابة في حروب الردة ، فقد قتلوا وأحرقوا وبالغوا في القتل والتحريق ، حتى يتحقق لهم الإثخان وإرهاب أعداء الله ، حتى يسلم لهم طريق الإسلام ، وكما حرق سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه الغالية الذين اعتقدوا فيه الإلهية ، ليكون رادعا لغيرهم ، وهذا هو مجال فقه الواقع والسياسة الشرعية ، وهو فقه مأخوذ من الشريعة وعمل رسول الله وصحابته وعلماء الأمة من بعده مصابيح الهدي ، وقد قلبت هذه العمليات الموازين ، وأصبحت مثار حديث العالم ، وكانت من أسباب انهيار منظومة القيم في المجتمع الغربي وسبب لإسلام الكثير.

ب- وكذلك مسألة قتل المدنيين علي ما أثير حولها ، والعجب أن يأتي هذا من بعض العلماء ، وقد بين الأخوة أن ذلك . . .

١ - إما علي سبيل المقابلة كقوله تعالي {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ }(٤٠) الشورى وكذلك{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}(١٢٦)النحل ، والقضية في الحقيقة هي أكبر من ذلك ..فهل يستوي في المقابلة بين معصوم الدم والمال والعرض ، وبين من يكون مباح الدم والمال والعرض ؟ وإذا كان الاعتداء علي ما هو مباح الدم (أي الأدنى) في سبيل وقف الاعتداء علي الأعلي كما قال ربنا{أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ - مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }(٣٥- ٣٦) القلم - وقول رسول الله (لا يقتل مسلم بكافر)[٣٨] فكيف يكون العكس هو الصحيح ، أن نحافظ علي الأدنى ونهدر الأعلي ، أليس هذا قلبا للحقائق الشرعية ، وكيف نثور لقتل الكافر ونقول الإسلام حرم ذلك ، ولا نثور لقتل الإسلام والمسلمين ..ما لكم كيف تحكمون!!

٢ - أن هذه الشعوب مشاركة لحكوماتها في الحرب والسلم وأن اختياراتها كلها لا تخرج عن الحرب بشكله التقليدى ، وكذلك بشكله السلمي فكلاهما حرب وغزو، المهم الطريقة المناسبة الموصلة لتحقيق الهدف ،وهذا يتضح من استطلاعات الرأي كتأييد نسبة كبيرة من الشعب اليهودي الحرب ضد الفلسطينيين وكانت هدايا أطفال اليهود صواريخ لتقتل في الشعب الفلسطيني.

كما أن النظام الذي يعيشون من خلاله يختلف عن كل النظم الأخري ، فهو نظام قائم علي الغزو بكل صوره وأشكاله ، غزو ديني ، وغزو سياسي ، وغزو اقتصادي وثقافي وعسكري ، فهو في كل أحواله حرب علي الإسلام والمسلمين ، بل حرب علي العالم كله ، وفي كل جوانبه غزو عسكري لاغتصاب الأرض ، غزو سياسي لاغتصاب والقضاء علي كل النظم السياسية الأخري ، غزو اقتصادي علي نهب ثروات الشعوب الإسلامية بل البشرية كلها ، ولا أدري كيف يمجد من يمجد في هذا النظام ، فهو نظام جمع كل سوءات النظم علي مدار التاريخ البشري ، نظام انفرد من بين النظم العالمية علي مدار التاريخ البشري في وصوله إلي قمة

[٣٨] / عَنْ أَبِى جُحَيْفَةَ - رضى الله عنه - قَالَ قُلْتُ لِعَلِىٍّ - رضى الله عنه هَلْ عِنْدَكُمْ شَىْءٌ مِنَ الْوَحْىِ إِلاَّ مَا فِى كِتَابِ اللَّهِ قَالَ وَالَّذِى فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَعْلَمُهُ إِلاَّ فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلاً فِى الْقُرْآنِ ، وَمَا فِى هَذِهِ الصَّحِيفَةِ . قُلْتُ وَمَا فِى الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ وَفَكَاكُ الأَسِيرِ ، وَأَنْ لاَ يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ رواه البخارى وقد بوب –لا يقتل مسلم بكافر .

الفحش والرزيلة والتدمير والاستباحة للشعوب الأخري ، نظام لا يضع في اعتباره أي شعب أو أمة أخري إلا نفسه ، نظام يتمثل فيه أعلي أنواع الإرهاب والعنصرية بأشكاله المختلفة.

وبعد كل هذا يقول هؤلاء القتلة السفلة الأنجاس مصاصي دماء البشرية عن المجاهدين الشرفاء الأماجد أنهم إرهابيون ، أليس هذا من عجائب الزمان ، أليس من العجيب أن يقول هؤلاء الإرهابيون ناهبي ثروات البشرية الذي تحول كل شيء علي أيديهم إلي سلعة تباع وتشتري ، لم يخرج عن ذلك شيء - الأوطان الأعراض النفوس الأخلاق الدين - فالكل قابل للبيع والشراء من خلال سياساتهم القذرة فى تجويع الشعوب ، وغزوهم بمختلف أنواع الغزو.

إن تطهير الأرض من هؤلاء الذين يمثلون وصمة عار في جبين البشرية ، هو أعظم إنجاز يمكن أن يقدم للبشرية وللتاريخ ، لأنهم أحقر جنس ظهر علي الأرض طوال تاريخه كله ، .

أليس من العجيب أن يبكي عليهم من يدعي أنه من علماء المسلمين ، ولا يبكي علي المسلمين الذين يقتلون كل يوم ، وتنتهك أعراضهم كل يوم ، ويستباح كل ما عندهم من دماء وأعراض وديار.[٣٩]

أما قضية جهاد النظم العلمانية التي احتلت أرض الإسلام واستباحت ما فيها لصالح الصليبية والصهيونية العالمية ، فهي نظم ردة تحكم بلاد الإسلام بالوكالة لا بد من دفعها بكل وسيلة فهو جهاد دفع ، بل هذه النظم أخبث من النظم الصليبية لخيانتها وعمالتها ، واستغلالها لمفاهيم منحرفة موروثة في التلبيس علي المسلمين لتظل أرض الإسلام دائما رهينة للصليبيين .

ومن هنا شهدت هذه الفترة مجموعة من الحركات التي تمثل خط التراجع والخيانة ، وشهدت تدعيم لحركات أخري استطاعت أن تؤدي المهام الموكولة إليها علي الأرض كالسلفية المدعاة وأخواتها، كما قامت بعض الحركات المسلحة والسياسية بالوقوف في صف الأعداء ، وذلك باختلاف في التوقيت حيث دخل البعض منها ابتدءا - بل بارك عملية الاحتلال الأمريكي - فشارك في العملية السياسية معها معطيا لها الشرعية ، ومنها من شارك في القتال ضد الاحتلال أولا، ولتراجعات ومؤامرات قامت بها الأنظمة العلمانية ومن ورائها من الأعداء مع هذه الحركات مع قبول مفاهيمها المنحرفة ذلك الأمر من الخيانة ، قامت بالقتال ضد المجاهدين في العراق كما حدث في أفغانستان والصومال .

ولكن هذه الفترة شهدت تطورا جديدا علي أرض الواقع حيث ولأول مرة في التاريخ الحديث منذ سقوط الخلافة العثمانية (والتي تعني أول ما تعني إقصاء حاكمية الإسلام ! حاكمية الشريعة حاكمية الله !! عن كل بلاد العالم الإسلامي) تعود الحاكمية من جديد تعلي كلمة الله علي أجزاء من الأرض ، حيث دار الإسلام والهجرة تنطلق منه حملات الإسلام إلي الأماكن المجاورة لتحقيق ألوهية الله في الأرض حتي يكون الدين كله لله ، وقد قامت الأعداء بتصويب سهام الكذب علي المجاهدين بأنهم يقتلون المدنيين وشاركهم من العلماء من باع دينه للشيطان.

[٣٩] / وهذا محمد حسان على سبيل المثال - فى شريط حق الحياة - كانت الخطبة في مسجد الحسين بن طلال و كانت تبث علي الهواء مباشرة علي الفضائية الاردنية الرسمية(تكلم فيها محمد حسان عن حق الكافر في الحياة و الترهيب من قتله و قال أنه ان غدر الكافر بالعهد لا يجوز لنا ان نغدر به.. لم يذهب محمد حسان الي الاردن ليطالب بتطبيق شرع الله او ليطالب بعدم موالاة اليهود او بوقف نشر العهر و الفجور، بل ذهب فقط ليبين للأمه حق الكافر في الحياه ، ذهب فقط ليعلنها بملئ فمه و يؤكدها أنه ان خان غير المسلمين فالمسلمون لا يخونون و ان غدر غير المسلمين فالمسلمون لا يغدرون . .!!

وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ، بل المجاهدين هم من أرحم الخلق بالخلق ، وهم ما خرجوا إلا للذود عن الإسلام ، وعن حرمات المسلمين ، وإنهم ما هاجروا من أوطانهم وتركوا المال والأهل والوطن ، إلا للدفاع عن المسلمين ، فكيف يسعون في قتلهم !! وهم ما قتلوا من قتلوا من الغربيين إلا من أجل كف عادية الكافر عليهم.

وحق لنا أن نقول : وما زالت طائفة الحق سائرة علي درب الهدي مطبقة لشرع ربها فيما تحت أيديها من أرض ، تحمي الإسلام والمسلمين من أي اعتداء ، فهي الطائفة المنصورة بحق القائمة علي الحق بإذن الله لا يضرها من خالفها أو خذلها ، وهذا من فضل الله أن يظل علي الأرض قائم بحجحة يدافع عن دين الله بالبيان والسنان ، راجين من الله أن يمن علينا وإياكم بالتوفيق لطاعته ومرضاته وأن يجعلنا من المجاهدين في سبيله.

سادسا : بعض النقولات والفتاوى المتعلقة بالعمليات الجهادية قديما وحديثا

١- يقول صاحب المغني : حين سئل: (لو أن رجلاً من المسلمين اقتحم في صفوف الكفار وأيقن الهلكة مع يقينه بعدم حدوث النكاية في العدو، هل يجوز هذا؟). فأجاب: (نعم يجوز، وهذا حتي يعلم الكفار أن في أمتنا من يحب الموت أكثر من الحياة).

بمعني آخر؛ هو ترسيخ لمفهوم الاستشهاد في نفوس الأمة، وإشعار العدو بأن في أمتنا من يحرص علي الموت أكثر مما يحرص هو علي الحياة، وهو دون شك سلاح من شأنه أن يقذف الرعب في قلوب العدو.

وعلّق شيخ الإسلام ابن تيمية علي قصة المرأة التي ألقت بنفسها ورضيعها في النار، بقوله: (وفي هذا يُعلم أنه يجوز للمرء أن يلقي بنفسه إلي التهلكة لِيُظهر الحق أو ليعرّف الناس الحق).

وفي سلفنا الصالح الكثير من العلماء الذين "ألقوا بأنفسهم إلي التهلكة"، في مواجهة بعض الحكام أو الولاة الظالمين، فكان مصيرهم الموت المحقق، وعلي رأسهم سعيد بن جبير مع الحجاج، ولم يقل أحد من السلف أنهم ألقوا بأنفسهم إلي التهلكة ، أو بخسوا أو عابوا عنهم عملهم هذا، بل بالعكس، فهؤلاء ينطبق عليهم حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم: (سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلي إمام جائر فنصحه فقتله).

والعلة في هذا هو مجرد إظهار الحق، وما كان يغلب علي ظن هؤلاء العلماء الشهداء، أن مواقفهم ستغير من واقع هؤلاء الحكام شيئاً ، أو أنها ستزيل ظلمهم، إنما كانت نيتهم هو مجرد إظهار كلمة الحق لا غير، فاستحقوا بذلك لقب سيد الشهداء.

٢- قال محمد بن الحسن الشيباني : صاحب أبي حنيفة - في كتاب السير الكبير: «لو حمل واحد علي ألف من المشركين، وهو وحده، لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية في عدو، فإن كان قصده تجرئة المسلمين عليهم ، حتي يصنعوا مثل صنيعه ، فلا يبعد جوازه ، لأن فيه منفعة للمسلمين علي بعض الوجوه، وإن كان قصده إرهاب العدو، وليعلم صلابة المسلمين في الدين فلا يبعد جوازه، وإذا كان فيه نفع للمسلمين فتلفت نفسه لإعزاز دين الله، وتوهين الكفر فهو المقام الشريف الذي مدح الله به المؤمنين في قوله: (إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم... إلي غيرها من آيات المدح التي مدح الله بها من بذل نفسه»[٤٠]

٣- قال ابن خويز منداد : (من فقهاء المالكي): «فأما أن يحمل الرجل علي مائة أو جملة من العسكر، أو جماعة اللصوص والمحاربين والخوارج، فلذلك حالتان: إن علم وغلب علي ظنه أنه سيقتل من حمل عليه وينجو فحسن،

[٤٠] / (تفسير القرطبي ٢ / ٣٦٤، ٣٦٥).

وكذلك لو علم وغلب علي ظنه أن يُقتل، ولكن سينكي نكاية أو سيبلي أو يؤثر أثراً ينتفع به المسلمون فجائز أيضاً»[41]

٤- قال ابن حجر العسقلاني : «وأما مسألة حمل الواحد علي العدد الكثير من العدو، فصرح الجمهور بأنه إذا كان لفرط شجاعته وظنه أنه يرهب العدو بذلك، أو يجرئ المسلمين عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الصحيحة فهو حسن، ومتي كان مجرد تهور فممنوع، ولا سيما إن ترتب علي ذلك وهن في المسلمين»[42]

٥- قال ابن تيمية: «جوز الأئمة الأربعة أن ينغمس المسلم في صف الكفار، وإن غلب علي ظنه أنه يقتلونه، إذا كان ذلك مصلحة للمسلمين»[43]

٦- فتوي الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي في العمليات الاستشهادية:

§ سؤال : فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله من كل سوء يقوم المجاهدون في فلسطين والشيشان وغيرهما من بلاد المسلمين بجهاد أعدائهم والإثخان بهم بطريقة تسمي العمليات الاستشهادية .. وهذه العمليات هي ما يفعله المجاهدون من إحاطة أحدهم بحزام من المتفجرات، أو ما يضع في جيبه أو أدواته أو سيارته بعض القنابل المتفجرة ثم يقتحم تجمعات العدو ومساكنهم ونحوها ، أو يظهر الاستسلام لهم ثم يقوم بتفجير نفسه بقصد الشهادة ومحاربة العدو والنكاية به. فما حكم مثل هذه العمليات ؟ وهل يعد هذا الفعل من الانتحار ؟ وما الفرق بين الانتحار والعمليات الاستشهادية ؟ جزاكم الله خيرا وغفر لكم..؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين أما بعد :

قبل الإجابة علي هذا السؤال لابد أن تعلم أن مثل هذه العمليات المذكورة من النوازل المعاصرة التي لم تكن معروفة في السابق بنفس طريقتها اليوم ، ولكل عصر نوازله التي تحدث فيه ، فيجتهد العلماء علي تنزيلها علي النصوص والعمومات والحوادث والوقائع المشابهة لها والتي أفتي في مثلها السلف ، قال تعالي : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقال عليه الصلاة والسلام عن القرآن : (فيه فصل ما بينكم) ، وان العمليات الاستشهادية المذكورة عمل مشروع وهو من الجهاد في سبيل الله إذا خلصت نية صاحبه وهو من انجح الوسائل الجهادية ومن الوسائل الفعّالة ضد أعداء هذا الدين لما لها من النكاية وإيقاع الإصابات بهم من قتل أو جرح ولما فيها من بث الرعب والقلق والهلع فيهم ،ولما فيها من تجرئة المسلمين عليهم وتقوية قلوبهم وكسر قلوب الأعداء والإثخان فيهم ولما فيها من التنكيل والإغاظة والتوهين لأعداءالمسلمين وغيرذلك من المصالح الجهادية .

---

[41] / (القرطبي ٢/٣٦٣).
[42] / (الفتح ٨ / ١٨٥ - ١٨٦).
[43] / (فتاوى ابن تيمية ٢٨/٥٤٠).

نسأل الله أن يمن علينا وعليكم بالهداية والتوفيق

وجزاكم الله كل خير

ادعوا لإخوانكم المجاهدين



إخوانكم في

مجموعة الأنصار البريدية

١٤٣٠هجرية // ٢٠٠٩ ميلادية